رُوَيّ

نروي لنرتوي

ثقافية فكرية أدبية

تحرير :

عمر ماجد السنوي

سلطان صلاح ماجد

حسن طلال الرمضاني

العدد السابع

2025 / 1447

عدد خاص بالقضية الفلسطينية

روي
نروي لنرتوي

rawamag
info@rawamag.com
www.rawamag.com

تصميم وإخراج: عمر السنوي

محمد عامر عباس
M409iQ

(ثقافية فكرية أدبية)

هيئة التحرير :

عمر ماجد السنوي (رئيسًا)

سلطان صلاح ماجد (مديرًا)

حسن طلال الرمضاني (مدققًا)

العدد السابع

2025 / 1447

عدد خاص بالقضية الفلسطينية

سياسة النشر:

تُعنى شبكة رَوَدِ الإلكترونية بنشر الدراسات والمقالات في مختلَف العلوم الإنسانية، وتفسح المجال للأدباء والهواة لنشر نصوصهم الإبداعية، في سائر الأجناس النثرية والشعرية.

وتتميّز المشاركات المقبولة للنشر فيها بأن تصبح مؤهّلة للطباعة ضمن إصدارات الشبكة، إما في أحد أعداد المجلة أو في أحد الأجزاء المنفردة.

ويُشترَط في المشاركات:

- أن لا تكون منشورة مِن قَبْل في جهة أخرى.
- وأن تتصف بنوع من الجدّة، والمعالَجة الهادِفة. وتنأى عن الاتصاف بالعبثية.
- وأن تتنزه عن الاستلاب والتبعية والعنصرية وكل ما يخالف المبادئ الإسلامية وأصالة القِيَم العربية.

مع ملاحظة ما يلي:

- خضوع المشاركات المرسَلة للتقييم والتحرير بما يوافق سياسة النشر في الشبكة، وتُنشر المشاركات المقبولة بعد نحو أسبوع من ورودها.
- حق الرد مكفول لكل مَن يرى أنّ في شيءٍ مِن المشاركات النقدية ما يخالف الصواب في رأيه.
- إنّ الآراء الواردة في المشاركات تعكس رؤية أصحابها، ولا تعكس بالضرورة رؤية الشبكة والقائمين عليها.

ترسَل المشاركات بِاسْم مدير التحرير عبر الإيمل:

sultanaltuarath@gmail.com

أو عبر الواتساب:

009647706573652

www.rawamag.com

كلمة التحرير:

ها هي مجلة رُوَى قد استوفت خمسة أعوام منذ انطلاقتها الأولى، وقد كانت مجلة فصلية في عامها الأول، فأصدرت أربعة أعداد، ثم ما لبثت أن أصبحت شبه سنوية، لأنها مجلة مستقلة غير ربحية، والقائمون عليها متطوّعون غير متفرّغين، والعمل في هذا الحقل الخطير بحاجة إلى دعم وتعاون، ولكن العزائم لم تنقطع، والإصرار لم يبرح نفوسنا، لا سيما في ظل الماجريات التي تمس أوطاننا وشعوبنا وتهدد أمّتنا العربية والإسلامية، فكان ذلك حافزًا إضافيًا للمضي في هذا المشروع الثقافي النبيل.

وإننا إذ نُقدِّمُ للمتابعين الكرام هذا العددَ المختص بالقضية الفلسطينية، فإننا نبشّرهم بأنه عدد لم يُعمل على مثاله، فقد تميّز بمحتواه المتنوّع والجريء والجديد، فلا تخلو أي مادة من مواده من أحد هذه المميزات الثلاث أو جميعها. ولعل في هذا سلوان لمن استبطأ صدور العدد.

ولا بد أن نسجّل شكرنا الجزيل للعلماء والباحثين والكتّاب والأدباء الذين أرفدوا هذا العدد بحُرّ أفكارهم ودقائق علمهم وجميل إبداعهم. سائلين الله أن يحسن جزاءهم، ويعلي أقدارهم.

كما نسأله تعالى أن ينصر أمتنا في قضاياها العادلة، وأن يخذل أعداءها من الداخل والخارج، ويرد كيدهم ومكرهم، وأن يستعملنا دومًا في خدمة هذه الأمة، ويكتب أجرنا، وينفع بجهودنا.

أسرة التحرير

الفهرس

مقدّمة العدد السابع ١١

القسم الأول: الدراسات ١٧

زعماء الطوائف في الأندلس.. وريادة التطبيع!

د. عامر ممدوح خيرو ١٩

نـهـايـة إسـرائـيـل

أ.د. جون ميرشايمر / قراءة وتعريب: عمر السنوي ٤٢

القسم الثاني: المقالات ٥٣

مشروعية المقاومة في القوانين الدولية

إلياس القاسمي ٥٥

الإسناد الإعلامي المرئي لعملية طوفان الأقصى

سلطان صلاح ٦١

اقتِباسٌ للنصّ بحَذافيره أم تصْحيحٌ له بَعد تحْريفه؟ [ردّ مَزاعم اليهود في القرآن]

عبد اللّه العنزي ٧٥

اليهود من منظور العلامة السعدي

شدوان عبد الستار عبد الجبار (أبو الحسن العنزي) ٧٩

كلمة عن أهمّية المُقاطعة الاقتصادية وأنها مِن أنفع طرُق الجهاد ٨٧

قلم محمود شاكر في الدفاع عن فلسطين
سامح عثمان ٨٨
عمر سيف: سيف اليمَن الذي لم يُغمَد في نصرة فلسطين
د. خالد بُـرَيـه..... ٩٣
حُكم (الجهاد) في عصر الحاضر في رأي المفتي عبد العزيز بن باز
ليث بن أمين العلواني..... ٩٨
ابن عثيمين وقضية فلسطين
ليث بن أمين العلواني..... ١٠٥
مِن فقه النوازل
د. ضياء الدين الصالح..... ١١٠
استشراف النصر في أحداث غزة
أ. د. عمار مرضي علاوي ١١٤
المقاطعة صوت الشعوب في وجه الاحتلال
ضحى الجبوري..... ١١٨
مُنعطَف الدَّروشَة السِّياسِيَّة
سامي مصطفى حسن ١٢٠
الخِطاب السلفي المعاصِر
د. كريم مصطفى نفادي..... ١٢٢
تجريم المجاهدين والتجارة بالدين
حسام أيوب..... ١٢٥
تتجه البوصلة نحو الأقصى دائمًا
عبد العزيز الجميلي..... ١٢٧
من الأندلس إلى غزة: صراع الأرض ونداء الأحرار
محمد زياد فناطسة ١٣٢

طوفان الأقصى المبارك بعد عام: جردة حساب
د. صالح نصيرات ١٣٥
قال لنا اليوم السابع
قرادشي محمد عز الدين ١٣٨
الذي يحدث في غزة...
مهند السبع ١٤١
كيف يرى الصهاينة السابع من أكتوبر؟!
محمود حسان عسكر ١٤٤
أحداث فلسطين
د. كهلان عبد الله سلمان الجبوري ١٤٨
القسم الثالث: عالَم الكتب ١٥١
غسان كنفاني: عائد إلى حيفا
فاطمة زياد بايدَدَة ١٥٣
مراجعة رواية الشوك والقرنفل
أسامة فاضل ١٥٦
القسم الرابع: النصوص الأدبية ١٥٩
سلامًا فلسطين
د. وليد الصرّاف ١٦١
نوائب الدهر
عبد الرحمن الحمداني ١٦٣
الحقُّ ظافِر
عدنان آل ناصر ١٦٥

في الذكرى السنوية لطوفان الأقصى
د. محمد غسان الخليلي..... ١٦٧
إلى جباليا وشهدائها
د. كوكب البدري ١٦٨
ضفائري
رشا عادل بدر ١٧٠
أمُستراحٌ منهُ؟!
عمر علـواش ١٧١
في الشهيد السنوار تقبّله اللّه
محمد صدام السامرائي..... ١٧٢
لا تجـاهـر
عُمَـر السِـنوي..... ١٧٣
إلى جنان الخلد يا هنية
د. خالد سليمان..... ١٧٥
أبو عُبيدة يتلو خِطاب النصر!
ياسر عبده ١٧٦
رسالة إلى رجال اللّه
حسين الخيلاني..... ١٨١
متى نغيث حنظلة؟
سلطان صلاح ١٨٣
"علوًا في الحياة وفي الممات"
زينب الأزبكي ١٨٦
فلسطين تنتصر
قصة الطفلة: روى عمر السـنوي ١٩٠

مقدّمة العدد السابع

(النكسة المعكوسة وميلاد الوعي الجديد)

الحمدُ للهِ الذي يُداولُ الأيامَ بين الناس، ويُعلِي كلمةَ الحقِّ مهما سعى المُبطلون في دثرها، ويستنبتُ من رُكام الجِراح أمةً لا تموت، ويُخرِجُ من جوفِ الجوعِ والدمارِ فجرًا جديدًا يتلمَّحُ فيه وجهُ التحرير والتمكين. والصلاة والسلام على نبيّنا القائل: «إنّ النصْر مع الصبْر، وإنّ الفرَج مع الكرْب، وإنّ مع العُسر يُسرًا». أمّا بعدُ:

فلم تكن حرب غزّة الأخيرة على مدى عامَين فصلًا عابرًا في تاريخ القضية الفلسطينية، بل كانت صفحةً جديدة في وعي الأمم العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء. فإن هذه الحرب لِمَن رآها بعين عقله الحاذق وقلبه الصادق، يجدها ارتدادًا للنكسة القديمة على وجهها المظلم، حتى غدت **النكسة معكوسة**؛ فبدل أن تُصاب بها الأمة، انقلبت على عدوها، فاضطرب وجدانه، وانكشفت أسطورته، وتهاوت أكاذيبه التي طالما تغذّى عليها وجدان الغرب والشرق معًا.

منذ اللحظة الأولى للطوفان، حاولَت المنابر المأجورة والمحجورة أن تجعل المقاومة مُذنبة في عين الشرع والتاريخ، وأن تصوّر فعلها ككارثة جلبت الويلات على أهلها. لكنّ هذا الادعاء في جوهره خيانة للوعي وتشويه لصورة الواقع، إذ يغفل عن أنّ ما جرى لم يكن مغامرةً عمياء، بل **ضربةً استباقية** أعدّتها المقاومة بذكاءٍ استخباري نادر، حين رأت أنّ العدوّ يُعِدّ لابتلاع ما تبقّى من الأرض والحقّ والذاكرة. لقد سبقتهم إلى المعركة، لأنّ من ينتظر العدوان في زمان الخداع إنما يُساق إلى الذبح صامتًا.

وما لبثت تلك الضربة أن **غيّرت وجه الصراع**: فجيشٌ كان يُروَّج له بأنه لا يُقهر، وجد نفسه حائرًا في دهاليز المستوطنات المحترقة، عاجزًا عن استعادة المبادرة، مضطرًّا إلى الاستنجاد بالعالم، ثم مضطرًّا أيضًا إلى الجلوس على طاولة المفاوضات مرّاتٍ ومرّات، وهو الذي طالما أقسم ألا يفاوض "الإرهاب" ولا يجلس مع من يقاومه. فأيُّ انقلابٍ أعمق من أن يتحوّل المعتدي إلى متوسّلٍ بالوساطة؟!

إنّ الذين يزعمون أنّ المقاومة جرّت الخراب على أهلها، إنما ينظرون بعينٍ عوراء لا ترى إلّا الدمار المادي، ولا تبصر النصر المعنوي والسياسي الذي تحقّق. فهل تُقاس القضايا الكبرى بعدد البيوت المهدّمة أم بمدى **انكسار هيبة العدو**؟ وهل النصر في معركة الحرية يُقاس بعدد الشهداء، أم بمدى اهتزاز يقين المحتلّ بعدالة وجوده؟! إنّ أولئك الذين يزعمون أنّ المقاومة جرّت الخراب على أهلها، لا يدركون أنّ كلَّ مقاومةٍ عظيمةٍ في التاريخ دفعت ثمنها بالروح والدم، وأنّ الأمم لا تُقاس بعدد بيوتها المهدّمة، بل بقدرتها على أن تنهض من الركام وهي أكثر وعيًا وكرامة، وهكذا كان، فمع كل بيتٍ يُهدم، كان وعيٌ جديد يُبنى؛ ومع كل شهيدٍ يُزفّ، كانت أمةٌ تستيقظ من سباتها الطويل.

إنّ الأمم العظيمة لا تُقاس بسلامتها من الجراح، بل بقدرتها على تحويل الجراح إلى رموز حياة، وهكذا فعلت المقاومة حين جعلت من أنقاضها منابر للكرامة، ومن دمائها راياتٍ في وجه الطغيان، ومن ثباتِها سبُلًا إلى التحرير الشامل.

إنّ آلة الاحتلال -مع بطشها وجنونها ووحشيتها ودعمها اللامحدود من الدول الكبرى- قد فشلت في تحقيق **أيٍّ من أهدافها المعلنة**: فلم تستأصل المقاومة، ولم تستعد أسراها، ولم تسترد هيبتها، بل خرجت مثقلةً بالخيبة والذعر، مع ضعفٍ طال جميع أركان كيانها المزيف، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وعسكريًا وأمنيًا وتقنيًا وإعلاميًّا، والأهمّ من ذلك كلّها: ضعفها وجوديًا. حتى اعترف كبار قادة الاحتلال أن النصر الذي

وعَدوا به شعبهم قد تلاشى في ركام الحرب. وهنا تجلّت المفارقة: **أنّ النكسة التي أرادوها للمقاومة انقلبت عليهم**، فبدت وجوههم في الإعلام شاحبة، يطلبون هدنةً بشروطٍ لم يجرؤوا على إعلانها صراحة.

لقد تحوّلت **الهدنة** التي أرادها الاحتلال مخرجًا من الفشل إلى **شاهدٍ على كرامة أصحاب الحق**، فالمفاوضات لم تكن هذه المرة اعترافًا بالضعف، بل **تتويجًا للصمود**، إذ لا يُفاوِضُ الضعيفَ القويَّ، وإنما يُفاوض مَن استطاع أن يفْرض على خصمه الكلفة، وأن يجعله يعترف بأن الحرب لا يمكن كسبها.

لقد تغيّر وجه العالم، فلم يعد الرأي العام الغربي كما كان، ولا النظرة إلى الضحية والجلاد كما رُسمت منذ عقود طويلة، فقد **خسر الاحتلال معركته**، وانكشف زيف السردية التي روّجها، وبدأت الشعوب تُراجع وعيها: من الجامعات إلى البرلمانات، ومن الشوارع الأوروبية إلى شاشات الإعلام، ومِن الشرق إلى الغرب.

وهكذا أدّت المقاومة -من حيث لا يحتسب خصومها- دورًا حضاريًا جديدًا، إذ **قلبت الوعي الدولي**، وجعلت من نفسها مرآةً تفضح الغرب الذي يزعم الدفاع عن الإنسان، فإذا به يدعم قتل الإنسان ويسوّغه بكل المسوّغات اللامنطقية، ما دام ذلك الأنسان عربيًا أو مسلمًا.

وما كان ذلك ليحدث لولا تلك **الضربة الاستباقية الجريئة** التي غيّرت موقع الضعف إلى قوة، وجعلت من الصمود معادلة ردعٍ غير معلنة. فالمقاومة لم تدافع عن نفسها فحسب، بل **أعادت تعريف الكرامة في السياسة**، لتثبت أن المعركة لم تعد معركة أرضٍ فحسب، بل معركة وعيٍ وهويةٍ وحقٍّ في الوجود.

إنّ ما جرى على غزة ليس هزيمةً ولا نكسة جديدة، بل هو **منعطف في تاريخ الوعي العربي والإسلامي**؛ إذ تعلّمت الأمة أنّ ضعفها ليس قدَرًا، وأنّ المقاومة ليست

خيارًا بين متعدّدات، بل هي خيارٌ أوحد، إمّا أن تكون أو لا تكون؛ فالمقاومة ضرورة وجود، لأنّ الحقّ لا يُتَناوَش من موائد السياسة، بل يُنتزَع من أيدي الغاصبين انتِزاعًا.

ولعلّ أخطر ما أنتجته هذه الحرب أنها **أعادت تعريف النصر والهزيمة** في ضمير الأمة؛ فلم يعد النصر أن تنتزع الأرض فحسب، بل أن تستعيد الوعي والكرامة والإرادة، وأن تُربك العدو في يقينه، وتخلخل أسُس مشروعه، وتُثبِتَ للعالَم أنّ هالة العظَمة والقوة هي هالة مصطنعة، كرّسَها الإعلام ومَن يقف خلفَه، وأنّ ثَمّ رجال قادرون على المواجهة بما أعدُّوا مِن عُدّة لازمة تُفَنِّد أسطورة النظام العالَمي وعُملائه.

ولقد أثبتت التجربة أنّ المقاومة حين تُحسن قراءة الواقع، وتستثمر قوتها الاستخبارية، تستطيع أن **تفرض المعادلة**، وأن تجرّ العدوّ من عنجهيّته إلى كرسي التفاوض، وأن تُرغمه على الاعتراف بوجودها لاعبًا حقيقيًا لا يمكن تجاوزه. **هذه هي السياسة في أعمق معانيها**: تحويل الفعل العسكري المحدود إلى مكسبٍ استراتيجي يُغيّر موازين القوى ويعيد صياغة الوعي الجمعي.

إنّ بنود الاتفاق الناتج عن المفاوضات الأخيرة بعد عامين من الحرب، تحمل ملامح **نصرٍ مكتومٍ في ثناياها**: انسحابٌ ميدانيٌّ من مدينة غزّة، فتحٌ للمعابر، إنهاءٌ لبعض أوجه الحصار، تبادلٌ للأسرى يشمل أصحاب الأحكام العالية والمؤبدات، ومنعٌ للتهجير القسري، مع **بقاء حركة المقاومة على أرضها بكيانها السياسي والعسكري والفكري**، بعد أن فشلت كل محاولات الاجتثاث وكسر الإرادة.

ومن العجيب أن بعض الأصوات -المأزومة فكرًا أو المهزومة روحًا- خرجت تسأل ساخرَة: (أين النصر؟ وما معنى أن تُسمّى هذه الصفقة نصرًا للمقاومة؟!)، ويغيب عن هؤلاء أن النصر في ميزان الحق **ليس صورةً إعلاميةً ولا بيانًا عسكريًا**، بل هو **تحقيق الهدف الأعلى**: أنْ يبقى المشروع المقاوم قائمًا، وأنْ يفشل العدو في تحقيق أهدافه، وأنْ

يُضطرّ إلى الاعتراف بمقاوميه شركاء على الطاولة بعد أنْ كان يصفهم بالإرهاب ويسعى في إبادتهم واغتصاب أرضهم.

ويقول آخَرون مُنطلقين من منطقهم الساذج المعتاد: (لماذا بدأت المقاومة بضرب العدوّ ثم ما لبثت أنْ طالبَت بالهدنة ووقف الحرب؟!). إنّ أصحاب هذا القول ما زالوا مصرّين على العمى، وكأن أحداث الواقع ليست في متناول الناس أجمعين! لا يريدون أن يدركوا ما حققته المقاومة بضربتها الاستباقية من أهداف لولاها لما رضي أحد أن يجلس معها على طاولة التفاوض. بل إنّها جعلت العدو وداعميه هم الذين يطلبون الهدنة ويسعون إلى تنصيب الوسطاء المأجورين، حتى اشترطت عليهم المقاومة فيما اشترطَت: أنْ **يُخرِج العدوُّ أسرى مقابلَ أسرى** بعدَ أن أنفقَ العدوُّ جيوشه وعتاده في عبثٍ لم يجْنِ إلا الخيبة والعار.

أيُّ خسارةٍ أوضح من أن يخرج المعتدي من الحرب **مثقلًا بدماء المدنيين**، بلا نصرٍ عسكري، ولا مكسبٍ سياسي، ولا أمنٍ موهوم؟!

وأيُّ نصرٍ أنبل من أن تبقى **راية أصحاب الحقّ مرفوعةً فوق الركام**، والناس برغم الجوع والموت يقولون: ما استُبيحت أرضنا إلا ونحن نقاتل، وما سُفكت دماؤنا إلا ونحن نقول: (لا).

نعم، إنّ ما جرى مؤخَّرًا هو عهدٌ **نعلَم علْم اليقين أنّ العدوّ سينكثه**، فليكن ذلك، فإنّها **استراحةُ المقاتل الواثق من عودته، ونَفَسُ الصابر الذي يعرف أنّ النصر وعدٌ لا يُخلِفُه الله.** هي **وقفةٌ يلتقط فيها المقاتلون أنفاسهم بين جولةٍ وجولة، وليست انكسار رايةٍ في ميدان المعركة.** فكلُّ اتفاقٍ يُفرَض على العدو لا يكون إلا ثمرةَ صمود، وكلُّ طاولةٍ يُجرّ إليها ليست إلا اعترافًا بأن المقاومة فرضت وجودها بحروف النار.

ليس النصر مجرّد غلبةٍ في الميدان، بل هو ثمرة صبرٍ طويلٍ وابتلاءٍ متكررٍ وصمودٍ

في وجه الباطل؛ فهذا هو ميزان **السنن الإلهية**. فلقد وعد الله المؤمنين بأنّ الأيام تُداول بين الناس، وأنّ الابتلاء طريق التمكين، وأنّ الشدائد إنما تُصفّي معادن النفوس لتُخرج أنقى ما فيها. وهكذا تتجلّى سنة الله في التاريخ: أن كل مقاومةٍ صادقة تُولد من رحم الحصار، وكل وعيٍ جديدٍ ينبثق من بين الأنقاض.

وأما في ميزان **التاريخ السياسي للمقاومات**، فإنّ ما تحقق اليوم ليس سوى بداية التحوّل: فما مِن مقاومة عظيمة إلا وقد وُصِمَت يومًا ما بالجنون أو المغامرة، ثم ما تلبث أن تُثبِت بعد حين أنها كانت **وعيًا سابقًا لزمنه**، ونداءً مبكرًا إلى الكرامة. وما المقاومة الفلسطينية إلا الامتداد الطبيعي لهذا القانون التاريخي الذي لا يحابي أحدًا؛ إذ لا تنتصر الشعوب حين تمتلك السلاح فحسب، بل حين تمتلك أيضًا **الوعيَ بحقيقة الصراع**، وتستيقن أنّ عدوّها مهما "تفرعن" فإنه يحمل في داخله بذرة فنائه.

وهكذا انقلبت الصورة، **فالنكسة معكوسة، والوعي مولودٌ من رحم الألم**، والعدوّ الذي ظنّ نفسه خالدًا في عرشه، صار قلقًا في ظله، ومَن ظنّ أن النار تطفئ الفكرة، نسيَ أن الفكرة حين تحترق، تضيء.

أما الأمة، فقد بدأت نهضتها الكبرى من بين الركام، لتكتب على جدار التاريخ جملةً واحدة: (إنّ الشعوب التي تعرف طريق المقاومة، لا تعرف طريق الفناء).

عمر ماجد السنوي

رئيس التحرير

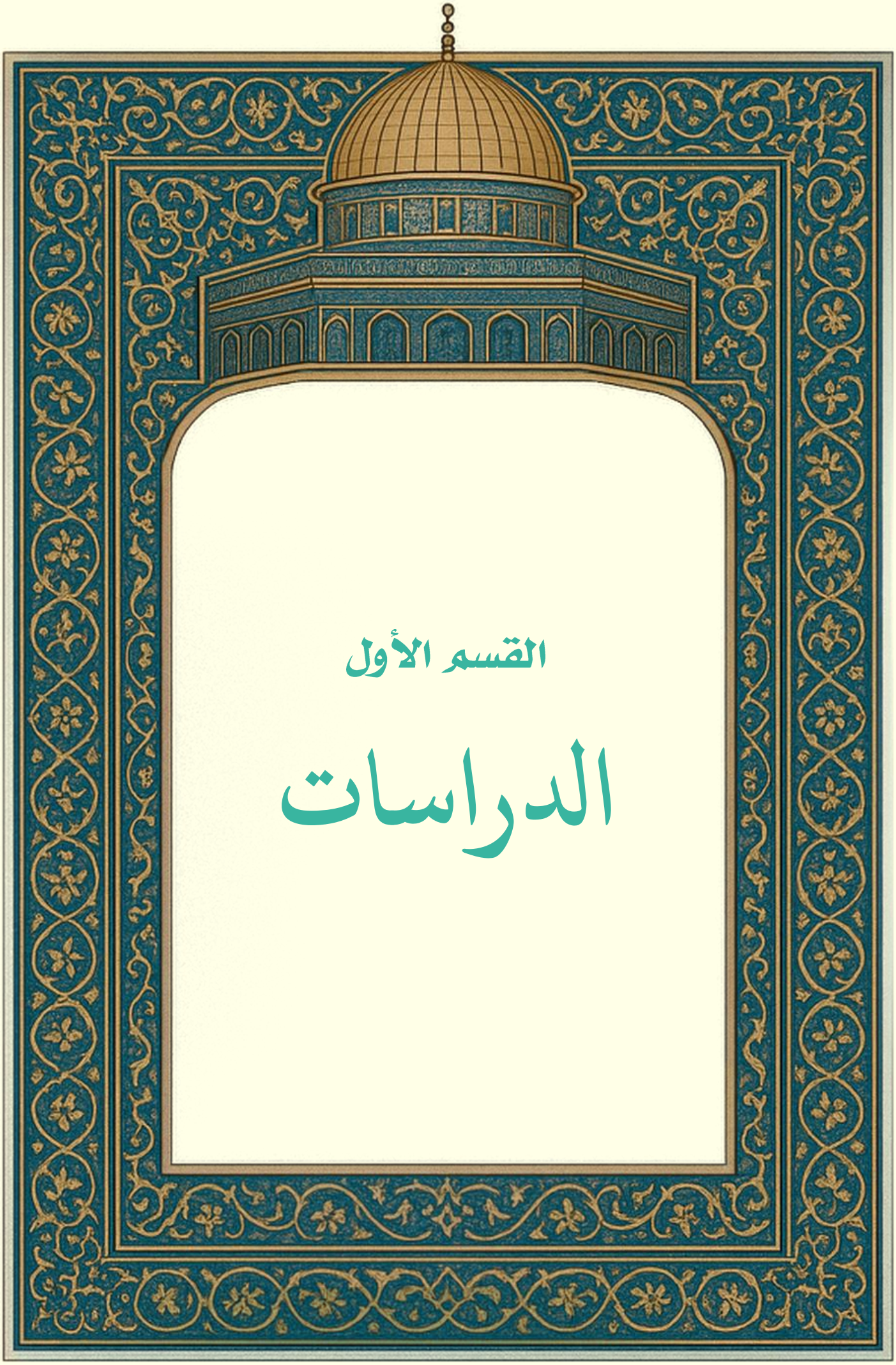

القسم الأول

الدراسات

زعماء الطوائف في الأندلس.. وريادة التطبيع! (مقاربة تأريخية أخلاقية)

د. عامر ممدوح خيرو

أستاذ التأريخ الأندلسي بكلية الآداب - الجامعة العراقية

مدخل:

قد يُصاب المَرء بالدهشة والعَجب ربما، وهو يتابع مجريات الأحداث الراهنة التي تمر بها الأمة عامة، وفلسطين العزيزة وغزة خاصة، فهي -والحق يقال- ملحمة كبرى تتداخل فيها معاني الشجاعة والبطولة كأبهى ما تكون، قبالة بؤس الواقع الرسمي العربي، مثلما أنها تنطوي على شواهد لمدى التردي المتكون عبر انصياع الأنظمة العربية لمشروع التطبيع والتعاون مع العدو الصهيوني الغاصب وصولًا إلى دعمه في حرب الإبادة المتحققة، والتعامل مع نزيف الدم الطاهر الزكي ومشروع محو السكان والعمران ببرود مقيت.

ولكن الدهشة تزول، والعجب يتلاشى، حين نتصفح كتب التاريخ، إذ تتجلى لنا في هذه الجزئية بالذات حالة التكرار الملفت لذلك الحال والاستعادة المطلوبة لعلاجها وتغييرها نحو المنحى الإيجابي اللازم، وذلك باسترجاع التأريخ قراءة ووعيًا واستثمارًا، ليس فقط لتحقيق حالة الفهم التي توجد بالضرورة من خلال التأمل في مجريات ما مضى، ولكن امتلاكًا لصورة الغد المتوقعة

لهذه السياسات الخائرة والمواقف المنحازة لصالح الخصم على حساب أبناء الوطن والأمة على حدٍ سواء.

ولعل هذا الأمر الذي نخصص الحديث عنه هنا تحقق بشكله الصارخ والواضح في عصر الطوائف الذي مرّ على الأندلس خلال المدة (٤٠٠ - ٤٨٤ هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٩١م) ومثل أقصى درجات الضعف والتراجع والتفكك والانهيار القيمي والأخلاقي، وزاد عليه أنه غرس في جسد الأرض الأندلسية سيف النهاية وقبل قرون من السقوط النهائي والتام، إذ وهنت وقتها البلاد وتناثرت أشلاء، واستنزفت القوة وتآكل الشعب، وضاعت المدن التي بُذِل في فتحها الغالي والنفيس، ومنح العدو القوة على طبق من الخيانة والنذالة والخسة الغريبة على الحالة الإسلامية السليمة، ولاح في الأفق غروب الوجود الإسلامي من ذلك الحين حتى أفوله التام في سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م.

ويكاد المرء يصاب بالذهول لحالة التشابه في الواقعين، الماضي والحاضر، وتكرار النماذج التي نراها اليوم عيانًا وحدثنا عنها المؤرخون مرارًا، وقدموا لنا وصفًا بالغ الدقة لأحوالهم الخارجية البائسة والداخلية المليئة بلحظات الخوف والرعب وتغييب المصلحة الشخصية على حساب المصلحة العامة ولو كان فيه هلاكهم التام في نهاية المطاف!

ولعل المادة المصدرية والسردية التأريخية الإسلامية، كانت من الروعة بمكان حين رسمت لنا صورة حادة الملامح لهذه السنوات الكالحات، ووقفت عند جوانب أساسية مثلت أركانها وتنبأت بمصيرها المحتوم والذي لا يغيره استعادة انفاس الوجود هنا او هناك، وهو ما سنحاول الوقوف عنده والتعليق عليه بما استطعنا.

ولا بدّ من التنبيه هنا إلى أن استدعاء الشاهد التأريخي القديم وقياسه على النموذج الراهن والحديث ليس فيه تعسف ما دام أن المحور الموضوعي الجامع بينهما مبني على أساس

علمي ومنهجي، فنحن ننطلق من إدراك مفهوم التطبيع بعمومه وخصوصيته الراهنة مع الكيان الصهيوني في ذات الوقت، والذي يقوم على (جعل ما هو غير طبيعيّ طبيعيًّا بحيث لا يكون مستنكرًا أو مرفوضًا... جوهره كسر حاجز العداء مع العدوّ الصهيونيّ بأشكالٍ مختلفة، سواء أكانت ثقافيّة أو إعلاميَّة أو سياسيَّة أو اقتصاديّة أو سياحيَّة أو دينيَّة أو أمنيَّة أو استراتيجيَّة أو غيرها... وينبغي الإشارة إلى إمكانيَّة تطابق مفهوم التطبيع مع كلّ الموارد المشابهة، حين يُعمل على توجيه الناس والمجتمعات والدول للتطبيع مع الآخر الظالم، وإن كان ظلمه واضحًا للعيان مقابل مكاسب سياسيَّة أو اقتصاديّة للأنظمة)[1].

والمفهوم أعلاه يجعل من هذه المفردة إطارًا يمكن أن يضم داخله الكثير من الحالات المتشابهة ومنها التي مرت على الأندلس التي كان أهلها في زمن الطوائف محاصرين بين زعيم مهادن ومتواطئ، وعدو متحفز وغاصب، فالسلوكيات المختلفة التي تمثلها أولئك إنما جمعها مشروع متكامل[2] مع إذابة الإحساس بالانتماء للأرض والالتزام بالمعاني الأخلاقية والمساومة من أجل الموقع والمنصب على حساب وجود أمة بأكملها، مثلما حصل ماضيًا وحاضرًا.

أولًا: وجودٌ شاذ

كما يعلم الدارس لتأريخ الأندلس، أن عصر الطوائف جاء تاليًا للخلافة الأموية التي أعلن عن سقوطها بشكلها الرسمي عام ٤٢٢هـ، وإن كانت البلاد وقعت في زمن الطوائف فعليًا منذ اندلاع الفتنة الداخلية، وهذا العصر يمكن إيجازه بشكل مركز بأنه

(١) ثقافة التطبيع والحرب الناعمة، (مركز الحرب الناعمة: ٢٠٢١)، ص٩ـ ١٠.

(٢) سعيد يقين داود، التطبيع بين المفهوم والممارسة دراسة حالة التطبيع العربي ـ الإسرائيلي، رسالة ماجستير (غير منشورة، جامعة بيرزيت: ٢٠٠٢)، ص١٣٥ ـ ١٣٦.

مثل عملية تقسيم أوصال وأملاك الخلافة بين مجموعة من الزعامات التي لم تكن تستحق أن تتولى هذه المواقع، فضلًا عن عدم امتلاكها القابلية للبقاء، وهو ما وثقته الرواية الأندلسية بشكل دقيق، ولنقرأ:

(وذهب أهل الأندلس من الانشقاق، والانشعاب والافتراق ، إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار مع امتيازها بالمحل القريب، والخطة المجاورة لعباد الصليب، ليس لأحدهم في الخلافة إرث، ولا في الإمارة سبب، ولا في الفروسية نسب، ولا في شرطة الإمامة مكتسب، اقتطعوا الاقطار، واقتسموا المدائن الكبار، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود، وقدّموا القضاة وانتحلوا الألقاب، وكتبت عن الكتاب الأعلام، وأنشدهم الشعراء، ودونت بأسمائهم الدواوين، وشهدت بوجوب حقهم الشهود، ووقفت بأبوابهم العلماء، وتوسلت إليهم الفضلاء، وهم ما بين مجبوب، وبربري مجلوب، ومجند غير محبوب، وغُفل ليس بالسراة بمحسوب، ما منهم من يرضى أن يسمى ثائرًا، ولا لحزب الحق مغايرًا، وقصارى أحدهم ان يقول أقيم على ما بيدي، حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه، ولا لقي الخير لديه، ولكنهم استوفوا في ذلك آجالًا وأعمارًا، وخلفوا آثارًا، وإن كانوا لم يبالوا اغترارًا، من معتمد ومعتضد ومرتضى وموفق ومستكفٍ ومستظهر ومستعين ومنصور وناصر ومتوكل)[1].

(عند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة، ودارت الدوائر المبيرة، وفسد حال الرائس والمرؤوس، وارتفع كل خامل وخسيس، وثار الثوار،

(١) ابن الخطيب، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام (الجزء الخاص بالأندلس)، تحقيق ليفي بروفنسال، ط ٢، (بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٦)، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

واشتعلت بكل مكان النار، وظهر العدو غاية الظهور، لا سيما على الأطراف والثغور)[1]، (وإنما كان خذلهم التحاسد، وفرط الخلاف، والتباغض، وقلة الإنصاف) وكان عنوان زمنهم له دلالة إذ (كانت أيامهم تسمى أيام الفرق)[2]!

(وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضرائر المترفات، والعشائر المتغايرات فلم تتصل لهم في الله يد، ولا نشأ على التعاضد عزم، ولا توجه إلى الاستكثار قصد، إنما كان وكدهم في التماس المحل من وده، وإبراز الفضل من حظوته، والتنفّق عنده، والترافع إليه، والاستظهار به، وقد قعد للتضريب بينهم والمفاسدة، وأطل بذروة التغلب والتحكم، مفتوح اليد، مقبول المزايدة واجتلاب الفائدة)[3].

ويقرأ المؤرخ الكبير الدكتور عبد الرحمن الحجي هذا الواقع بدقة متناهية فيقول: (هكذا وُجدت في الأندلس أوضاع يحكمها أمراء، اتصف عدد منهم -في بعض تصرفاته- بصفات الأثرة والغدر، هانت لديهم معه مصالح الأمة وتركت دون مصالحهم الذاتية، باعوا خلقهم (وبلادهم) للعدو المتربص، ثمنًا لبقائهم في السلطة، أصاب الأمة الضياع بقدر ما ضيعوا من الخط الخلقي المسلم، انحرف هؤلاء المسؤولون عن النهج الحنيف الذي به كانت الأندلس وحضارته، في مثل هذه الحالة تظهر العصبية والنزاعات التي تؤدي إلى التشتت والضياع... لو وضع هؤلاء الأمراء المهازيل -مع اختلافهم-

(١) ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (توفي في العقد الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق صالح بن عبد الله الغامدي، (المدينة المنورة: ٢٠٠٨)، ص١٢٢٠ ـ ١٢٢١.

(٢) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص١٢٢٥، ص١٢٣٢، والفرَق بفتح الفاء: بمعنى الخوف، أو بكسرها بمعنى: الطوائف، الصفحة نفسها، هامش ٦.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص ٢٤٤.

مصلحة الأمة أولًا، ووجد بينهم نوع من العهود التي تقوم على المسالمة والتعاون ضد كل خطر خارجي، لكان الأمر مختلفًا، لكنهم راحوا يستعينون بعدو أمتهم المتربص -الذي يتمنى هلاكهم جميعًا- ضد بعضهم البعض، ولقاء دفع إتاوة وتنازل عن حصون ومدن، ولعل ما أصاب الأندلس بسوء فعالهم وسقم خلقهم كان أكثر مما أصيب به بقوة عدوهم، فالاستعانة بالعدو سنّة سيئة وجدناها تتكرر لدى آخرين من بعض الحكام)[1].

لقد كان وجود زعماء الطوائف في أساسه شاذًا ومحطمًا للنظام السياسي الأندلسي، لذا فقد ايقنت هذه الزعامات التي بنت ممالكها على أساس هزيل حاجتها للإسناد من اجل البقاء، ليس هذا فحسب بل وارضاءً لشهوة التوسع التي تملكتها على حساب جيرانها وهم شركاء الوجود ذاته، مع وجود العدو الذي بات يلوح فرحًا لهم بالدعم والاسناد لتحقيق قضمهم الغريب لأنفسهم، وصولًا إلى المحو التام.

وهكذا وضعت في الأندلس للمرة الأولى أسس عمليات التطبيع البائسة مع العدو بشكلها الجماعي، وباتت البلاد على موعد مع سياسات وتصرفات أساسها التقرب من العدو وموالاته وتمييع المواقف واذابة الحواجز وبشكل انتهى إلى ترسيخ صورة قوته وتغلبه وهيمنته على حساب وهن ذوات هؤلاء والذين غلبهم سواد المضمون والفعل والمآلات على حدٍ سواء.

ثانيًا: الخنوع واستعداء الأشقاء

لقد مثل زعماء الطوائف الشكل الأكثر بؤسًا بين زعماء الأندلس، فهُم -ما عدا القلة القليلة النادرة- لم يعرفوا منهجًا للحكم أو سبيلًا للإدارة إلا الغرق في بحور الملذات، وخضوعًا لغريزة التمتع والبقاء، وخلع كل صور

(١) التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، (دمشق، بيروت: دار القلم، ١٩٧٦)، ص٣٢٥ ـ ٣٢٦.

المبادئ الأخلاقية الإسلامية التي كان عليها حكام البلاد قبلهم.

وهم بذلك مثلوا المرحلة الثالثة التي يمر بها المجتمع بين (الحالة الكاملة: فيها تكون جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (الروح)... والمرحلة التالية: هي المرحلة التي تكون فيها جميع الخصائص والملكات تحت سيطرة (العقل) خاصة... أما المرحلة الثالثة: فتصور نهاية تحللها تحت سلطان (الغرائز) المتحررة من وصاية الروح والعقل، وفيها يصبح النشاط المشترك مستحيلًا، ضاربًا بأطنابه في أغوار الفوضى والاضطراب، وهو ما نجده في حالة المجتمع الإسلامي في الأندلس، في العصر المشؤوم المسمى بعصر (ملوك الطوائف)[1].

(لقد كانت تلك الأيام شذوذًا، تلك الأيام التي استمرت لبضعة عقود قاربت التسعة، بلغ الحال فيها وضعًا شاذًا من التفرق والتمزق والتحارب بين حكام صغار، هَمّ أحدهم كرسيه ولو أعطى للعدو ما يريد، مما تولاه من أرض وشعب. يتنازل عن الأرض ويدفع الأموال ويضحي بالناس ويسترخص بناء مجتمعهم، وإن ادعى غير ذلك من شعارات أو لاك من عبارات تمتّ ظاهرًا إلى الدين، بل واسمه يتجر وما هو بمزدجر... وفي مثل هذه الأوقات، التي شغل خلالها الحكام ومن معهم بتفاهاتهم ومصلحتهم وتعلقهم بالزعامات التي شغلوا لها من معهم وشغلوا أمتهم وأعطوا للعدو مرامه منهم ومن مجتمعهم. مع أن هذا العدو كان لا يرضى ولا يكتفي بغلبة سياسية عليهم، فذلك قليل مما يريد، وإن كان له مفتاحًا، فهو يريد استباحة الأمة، وخنق كل نفس تتنفس بالدين وتعمل له، ويقضي على كل متنفس يبعث الأنسام في النفس، فيخنقه ليقضي عليه ويبقوا بعد ذلك

(١) ابن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط ٣ (دار الفكر: دمشق، الجزائر، ١٩٨٦، ص٣٨ ـ ٣٩.

بدونه، يعطيهم ويمنيهم من أجله ممثلين في قادة صح الوصف فيهم: [أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة] يخدمونه ويخضعون له ويخدمون أنفسهم لرغباته، بل ويذلون شعوبهم، لو استطاعوا أن يفعلوه!)[1].

لقد غدا محاربة الأشقاء والإخوة منهجًا لدى زعماء الطوائف الذين مارسوه بمزيج من الخنوع والخضوع للعدو، من أجل التوسع على حساب الوطن، والمساومة على قضايا الأمة مهما كان ذلك على حساب سمعتهم ومكانتهم التي هبطت إلى أدنى مستوياتها بسبب أفعالهم، وهو ما ادركه بعض نادر منهم، ومنهم المتوكل بن الأفطس حاكم بطليوس، فيقول مخاطبًا يوسف بن تاشفين: (كانت طوائف العدو تطيف بها عند إفراط تسلطها واعتدائها، وشدة ظلمها، واستشرائها، تلاطف بالاحتيال، وتستنزل بالأموال، ويخرج لها من كل ذخيرة، وتسترضى بكل خطيرة، ولم يزل دأبها التشطط والعناد، ودأبنا الإذعان والانقياد، حتى نفد الطارف والتلاد، وأتى على الظاهر والباطن النفاد، وأيقنوا الآن بضعف المنن، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن، وأضرمت في كل جهة نارهم، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم، ومن أخطأه القتل منهم، فإنما هم في أيديهم أسارى وسبايا يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا)[2]، ويضيف: (ما هو إلا نفس خافق، ورمق زاهق، استولى عليه عدوّ مشترك، وطاغية منافق)[3].

كما أنه يجيب ألفونسو السادس بالقول: (وأما تعييرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم، وظهر من اختلالهم، فبالذنوب المركوبة، والفرقة المكتوبة،

(١) الحجي، عبد الرحمن علي، هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، (أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣)، ص٢٧.

(٢) مجهول، مؤلف، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩)، ص٣٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥.

ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك، لعلمت أي صاب أذقناك، كما كانت آباؤك تتجرعه، فلم تزل تذيقها من الحِمام، وضروب الآلام، شرّ ما تراه وتسمعه، وأداء المال تتوزعه)[1] مما يدل على إدراك حقيقي لما يجري من غلبة أثر الانقسام على الضعف الداخلي.

أما المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية، فثمة نماذج عديدة تعكس صورة الحالة التي يعيشها في ظل التعاون مع ألفونسو السادس، فقد (كان قد أشار عليه خواصه بمصانعة أذفنش -أي ألفونسو- وعقد السلم معه، على أداء مال معلوم عن كل حول، فنكل على أدائه لضعف بلاده، وجلاء أهلها عنها، فافترض على أهل إشبيلية فريضة، افتقر فيها أكثرهم، وانجلى آخرون، فوصل إليه رسول أذفنش، ومعه اليهودي ابن شالب، لقبض مال الجزية على عادتهم، في كل سنة، ونزلوا خارج إشبيلية، فوجه إليهم المعتمد بن عباد المال المعلوم مع بعض أشياخ إشبيلية، منهم ابن زيدون وغيره، فلما وصلوا إلى خبائه، وأخرجوا إليه المال العين والسبائك، قال لهم اليهودي: والله لا آخذ منه هذا العيار، ولا آخذ منه إلا مشحرًا -أي الذهب الخالص-، ولا يؤخذ منه في هذا العام إلا أجفان البلاد، وزاد في كلامه ونقص، وأساء الأدب، فبلغ المعتمد خبره، فدعا بعبيده وبعض جنوده، وأمرهم بالخروج لقتل اليهودي ابن شالب، وأسر من كان معه من النصارى، ففعلوا ما أمرهم به من ذلك)[2].

ومن كتاب المعتمد بن عباد إلى ابن تاشفين: (قد طرأ على الإسلام حادث أنسى كل هم، وهمت النكبات بوقوعه وهم، وذلك عدو أطمعه في البلاد شتات وبين، واختلاف سببه لم تطرف له في الدعة عين، يقوى ونضعف، ويتفق ونختلف، وننام مطمئنين من آفات الزمان، وتناسخ الأمان، وقد جاءنا إبراقه وإرعاده،

(١) المصدر نفسه، ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٢.

ووعده وإيعاده، لنسلم له المنابر والصوامع، والمحارب والجوامع، ليقيم بها الصلبان، ويتنسب بها الرهبان، ومما يطمعه استمالته إيانا بالدعة، وإملاؤه في الرحب والسعة، استجرارًا لما أبطنه، وإهجامًا علينا وطنه)[1].

ونكاد نلمس في كل تلك الكلمات مدى تأثير الانقسام الداخلي، والانصياع المذّل للعدو الخارجي على واقع الأندلس، لدرجة فقدان القدرة على اتخاذ القرارات وإدارة الأمور باستقلالية تراعي مصلحة الشعب والسكان كما ينبغي.

ثالثًا: التعاون مع العدو (تطبيع مبكّر)

كما ذكرنا سابقًا، فإن هذا التوجه البائس غدا سياسة متعارفًا عليها في زمن الطوائف، ويكاد يجمع المؤرخون قديمًا وحديثًا على أن هذا العصر الشاذ إنما اقتات على هذه الجزئية ليبقى، ظانًا أن فيه الحياة ومتناسيا أن حياة الذل والتنازل عن القيم الأخلاقية وأراضي المسلمين نهايتها سوداء.

لذلك سادت صور التواصل والتعاون وطلب المساعدة وبذل الأموال والتنازل عن الحصون والمدن مع الممالك الإسبانية لقاء فتاتٍ من المُساعَدة المُمنهَجة والمَدروسة والمَشروطة، والتي عكست منهجًا واضحًا في ظل حرب الاسترداد الإسبانية، والتي تزعّمها بشكل كبير ألفونسو السادس والذي لم يكن ليمثل في التقييم الشامل والعام الحاكم الخارق القوة، ولكنه استغلال الظروف المواتية التي قدمها له زعماء الطوائف، ذلك أن مصدر الشعبية التي اكتسبها ألفونسو السادس كانت بسبب ضعف موقف حكام الأندلس المتشبثون بكراسي الملك إذ (لولا اهتبال ملوك الطوائف بإقامة مرافقه، وإصغاؤهم إلى هدر شقاشقه، لطار شعاعًا، وذهب ضياعًا)[2] وهو ما يدفع إلى الاستنتاج

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص١٦٥.

بأن ألفونسو السادس لم يكن بتلك القوة التي من شأنها إنهاء حكم المسلمين وبسط نفوذه على البلاد بالكامل، ويبدو أن إمعان الرجل في إذلال أولئك الحكام يرجع إلى تنافس كل واحد منهم وهو أمر لا يمكن إيجاد تفسير له حسب ما نرجح، إلا بجبن الحكام المسلمين في الأندلس، والتعلق بالدنيا والخوف على ضياع كرسي الحكم)[1].

لقد دأب زعماء الطوائف على انتهاج سبيل التعاون مع العدو واعتماد سياسة تطبيعية بامتياز، فقد (لاذوا بالجزى للطاغية أن يظاهر عليهم أو أن يبتزهم ملكهم، وأقاموا على ذلك برهة من الزمان، حتى قطع إليهم البحر ملك العدوة وصاحب مرّاكش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللّمتوني، فخلعهم وأخلى منهم الأرض)[2]، ووقع ذلك في وقت وضع العدو خطته الاستراتيجية التي وجد لها الفرصة الذهبية عبر وجود هذه النماذج، وذلك من أجْل (الاستيلاء على ثغور المسلمين، وانتهاز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها وإغراء بعضهم بعضًا)[3].

ويقدّم لنا حاكم غرناطة عبدُ الله بن بلقين شهادة معاصرة للحدث، عن طريق مجموعة من النصوص حول التفاوض مع ألفونسو والتعاون معه، ومحاولة تبرير العجز والضعف الذي كان عليه زعماء الطوائف عامة وما كان عليه هو خاصة، فيقول: (وأما الفونش لما تيقن هذه الفتن، علم أن ذلك من أكبر سعادته وأعظم فرصة في طلب الأموال، فأرسل إلينا رسوله أول مداخلة

(١) لوعراك، محمد، اختراق ممالك النصارى للمجال الأندلسي خلال عصر الطوائف (قراءة في السياقات والأسباب)، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، الجزائر، م٢، ع ١٨، ٢٠٢١، ص٣٦٧.

(٢) المقري، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٨٨)، ج١، ص٤٣٨.

(٣) الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتاب، ١٩٩٧)، ج٢، ص٣٣.

نشأت بيننا وبينه، فأتى باطرو شولش يطلب منا ضريبته فأبينا عليه، واجتمع رأينا على أن لا نفعل، وأن ضرر الفونش لا يُخشى وغيرنا أمامنا، نعني بذلك ابن ذي النون... وانقطع رجاء الناس من دولتنا، لاجتماع المطالبين عليها مع الرومي، وندمنا على التفريط أولًا في معاقدته حسب ما سأل وكان من أحسن شيء على السلاطين أخذ معقل بالسيف، فإنه متى اعترض لم يستطع على دخوله لمنعته وما عد فيه، ولا على إحصاره حتى ينفذ ما فيه لقوة تأتيه، فيقلع عنه، إلا من كان أقوى، ولم نكن نحن إلا متكافئين في ذلك، متى ما أعطى أحدنا لعسكرٍ مالًا، وأراد الآخر نقضه، أربى عليه وأراحه منه)[1].

ويقول: (وتأهب الفونش إلى الحركة، وقدّم رسوله بين يدي حركته فلما صحت عندنا، أتانا منها المقيم المقعد، ولم ندر أين الخيرة: إن كان في رفض البلد وتركه ليعبث فيه، أو مداراته بما تيسر، ووقعت من ذلك هيبة في الناس ورجة، حتى بلغ من الجزع أننا لم نصدق أن يقبل منا المال دون الملازمة لنا... فرويت الأمر في نفسي، ورأيت أن التعاطي [المكابرة] حماقة لا تفيد، وقلت: إن أخذت هذه من الرعية ضجت وشكت، ويكون مقدمتها بمروكش شاكين يقولون: أخذ أموالنا وأعطاها للنصارى! ولكن لهذا الوقت يحتاج الإنسان ما ادخر ليصون به بلده وعِرضه، وأنا جدير أن أعطي ذلك من بيت مالي، بحيث يسلم البلد، وبحيث تشكر الرعية بمدافعة عدوها دون تكليفها شيئًا، ولا تقع الشُنعة! ففعلت ذلك وأرسلت إليه ثلاثين ألفًا، لم أرزأ أحدًا فيها درهمًا)[2].

ولعل النصَّين السابقَين -وهناك غيرهما- يشيران إلى مدى الضعف الذي آل إليه وضع ابن بلقين لدرجة

(١) ابن بلقين، عبد الله، التبيان، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، (منشورات عكاظ: ١٩٩٥)، ص٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣٨ ـ ١٣٩؛ وعن شواهد أخرى ينظر: ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

قوله: إننا لم نصدق أن يقبل منا المال دون الملازمة لنا -كما عبّر!-، ومحاولة تبرير مواقفه بهذا الضعف الذي لم يعد -كما يبدو- هناك أمل بدفعه وتغييره، وتثبيت أن هذا الواقع منع أية محاولة للتغيير والإصلاح، وربط تصرفاته هنا وفي مواضع أخرى بسلامة البلد والرعية، والإشارة إلى دفع المال من أمواله الخاصة حتى لا يستثير الرعية.

وهنا يثار سؤال مهم: هل الخلاف حول دفع الأموال للإسبان في مصدر المال، أم في أصل التعاون والاتفاق؟ وهل الأمر بمدى المبلغ وجهة الدفع أم بما يحمل ذلك من ارتكاس مبدأي وسلوك سلبي وتأثيرات مدمرة على أرض الأندلس ومستقبلها؟

وتتواتر النصوص التأريخية لتعزز هذا الجانب، ومنها: (وخلص الملك الفنش بن فردلند، واستبد به، واستفحل أمره، وطمع في المسلمين، وصح في قياسه الفاسد أن يستخلص جزيرة الأندلس لنفسه، فلم ينم عن شن الغارات، ومواصلة الغزوات، وصادف أيام ملكه نفاقًا كثيرًا بين المسلمين، واختلافًا عظيمًا، وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعاونة الروم، فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال ليعينهم على مناوئيهم بأنجاد الرجال، والنصراني في أثناء ذلك مسرور، وهم مع ذلك مشتغلون بشرب الخمر، واقتناء القيان، وسماع العيدان، وكل واحد منهم ينافس في شراء الذخائر الملكوية متى طرأت من المشرق كي يوجهها للنفش هدية، ليتقرب بها إليه، ويحظى دون مطالبة لديه، إلى أن ضعف من أولئك الثوار الطالب والمطلوب، وذل الرائس والمرؤوس، وافترقت الرعية، وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية، وأذعن من بقي منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية، وصاروا للفنش عمالًا يجبون له الأموال، لا يخالف أمره أحد ولا يتجاوز له حد، ووكلوا أمر المسلمين إلى اليهود، فعاثوا فيهم عيث الأسود،

وجعلوهم حجّابًا، ووزراء وكتّابًا، ويتطوف الروم في كل عام على الأندلس يسْبون ويغنمون ويحرقون ويهدمون ويأسـرون)[1].

وتنبه الرواية التاريخية إلى سياسة "فرّق تسد" التي عمل عليها ألفونسو السادس: (وكان أسرّ شيء عند الفنش فتنةً تقع بين ولاة من المسلمين، فيعين هذا على هذا، وهذا على هذا، فيستجلب بذلك أموالهم، ويفجع غمصًا منه، أن يعجزوا فيظفر هو بملك الجزيرة كلها)[2].

ويا له من تعبير بليغ قول ابن الكردبوس: (وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية)، فهو تلخيص عميق لحال زعماء الطوائف الذين تجردوا من كل القيم الإسلامية.

والتقرب إلى ألفونسو السادس لم يكن بالقول فحسب وإنما باعتماد الهدايا سبيلًا، يدل على ذلك ما قاله ابن الكردبوس: (ولما حصل الطاغية الفنش بطليطلة شمخ بأنفه، ورأى أن زمام الأندلس قد حصل في كفه، فشن غاراته على جميع أعمالها، حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها، وذلك ثمانون منبرًا سوى البنيات، والقرى المعمورات، وحاز من وداي الحجارة إلى طلبيرة، وفحص اللج، وأعمال شنتنمرية كلها، ولم يكن بالجزيرة من يلقى أقل كلب من كلابه، فعند ذلك وجّه كل رئيس بالأندلس رسله إلى الفنش مهنئين، وبأنفسهم وأموالهم مقتدين، وفي أن يشركهم في بلادهم له عاملين، ولأموالهم إليهم جابين، حتى إن صاحب شنتمرية حسام الدولة بن زرين، نهض إليه بنفسه، وتحمل هدية عظيمة القدر سنية،

(١) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص١٢٢٩ ـ ١٢٣١؛ ويورد في مواضع لاحقة عبارات تدل على الاستعانة بالعدو من أمثال: (واستعان عليه بالطاغية ابن ردمير) ص١٢٣٤؛ (واستنصر بالفنش) ص١٢٣٥، وص١٢٤٠؛ وغيرها.

(٢) المصدر نفسه، ص١٢٣٧.

متقربًا إليه، وراغبًا أن يقره في بلده عاملًا بين يديه، فجازاه على هديته بقرد وهبه إياه، فجعل ابن رزين يفتخر به على سائر الرؤساء، ويعتقد أنه جنته، مما كان يحذر من الفنش من وقوع البأساء... وكان رسول ابن عباد إليه يهوديًا يعرف بابن مشعل، فقال له: كيف أترك قومًا مجانين تسمى كل واحد منهم باسم خلفائهم وملوكهم وأمرائهم، فمنهم: المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسلّ في الذب عن نفسه سيفًا، ولا يرفع عن رعيته ضيمًا ولا خوفًا، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان، ومعاطات بنت الدنان؟!! وكيف يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحدا، وأن يدعها بين أيديهم سدى؟!)[1].

والمدقق في الكلام الوارد آنفًا يجد فيه تصويرًا نفسيًا داخليًا لزعماء الطوائف، أدركه الإسبان وعملوا بمقتضاه.

رابعًا: سياسة التطبيع لا تدفع الخطر:

لم يكن يعلم زعماء الطوائف أو ربما علموا فأغفلوا تعمدًا أن سياسة التردي والخنوع لا تنفع ولا تحمي، ومن الشواهد على ذلك هذا النص التأريخي المهم: (وبمجرد تسلمه أمر طليطلة -أي ألفونسو- عمل على تمزيق ثروة يحيى القادر، وهكذا سلم القادر كل ما يملك، وأضاع طارفه وتليده، ومزَّق ثروته وميراثه، وبدد حصونه حصنًا حصنًا، وذهبه دينارًا دينارًا، وهو مستسلم مرغم، وإلا فماذا عساه أن يصنع؟ إن سيف الأذفونش المصلت يتهدده بالقتل، وأقل حركة تبدر منه تدل على عدم الطاعة والإذعان، تجعله يهوي به على رأسه، فلم ير بدًا من أن يستنزف أموال الرعية، ويرهقها بأنواع المظالم والمغارم ويأتي على الشالة الباقية في

(١) ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص١٢٤٦ ـ ١٢٥٠.

أيديها، ورأى أهل بلنسية أنه لا قِبَل لهم بسدِّ هذه المغارم الفادحة، ففروا من وجه هذا الظلم الصارخ زرافات ووحدانًا، وهاجروا إلى أرض سرقسطة، وكان موقف القادر أمامه شاذًا وغريبًا، فإنه كلما حمل إليه قدرًا من المال ظنًا منه أن ذلك يجدي في مرضاته، كان ذلك سببًا في تزايد طلباته الملحة، إلى أن نضب معين المال، ولم يجد ما يقدمه إليه، وأقسم له أن ليس قبله شيء، فقام من فوره، وخرب بسيط المدينة وما حولها، كل هذا والقادر متعلق بعرشه بعد أن نخر في قوائمه السوس، وتداعى للانحلال والسقوط، ولكنه عدل في النهاية عن هذا التعلق الكاذب)[1].

ومُزِج ذلك السلوك بذلة واضحة وتبريرات فاضحة، وحاشية موالية تسوغ للحاكم سياسته المدمرة، وهو ما ألمح إليه ابن بسام بذكر خِطاب العجز التبريري لعلماء السلطان وأدبائه ممن حاولوا تسويغ سلوك الطوائف البائس على أنه لا سبيل لهم إلا ذاك، وأوجز تقييمه بقوله: (وهذا مدح غرور، وشاهد زور، وملق معتف سائل، وخديعة طالب نائل، وهيهات)[2].

والخلاصة في هذا الباب أن ملوك الطوائف كانوا (أسوأ قدوة، كانوا ملوكًا ضعافًا في وطنيتهم، ضعافًا في دينهم، غلبت عليهم الأثرة والأهواء الشخصية إلى أبعد الحدود، ونسوا في غمارها وطنهم، ودينهم، بل نسوا حتى اعتبارات الكرامة الشخصية، واستساغوا لأنفسهم أن يترامو على أعتاب الملوك النصارى، وأن يستعدوهم بعضهم على بعض، لا في سبيل قضية محترمة، ولكن لاقتطاع بلدة أو حصن

(١)دوزي، رينهارت، ترجمة كامل كيلاني، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، (القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢)، ص ١٢٥.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٢ م١، ص٢٤٩؛ ص٢٥١؛ ٢٥٢؛ ويورد في تلك الصفحات نماذج على تبريرات ساقها المعتمد بن عباد لمواقفه ازاء الإسبان مما يتوافق مع ما ذكره ابن بلقين وسار عليه غالبية زعماء الطوائف لمنح أفعالهم الشرعية دون جدوى.

من مملكة شقيقة، أو التنكيل بأحد الأمراء المجاورين. وقد انتهى أمراء الطوائف في ذلك إلى درك يستحق أن يوصف بأقسى النعوت، ويكفي أن نستعرض في ذلك موقف ملوك الطوائف إزاء نكبة طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وتخاذلهم جميعًا عن إنجادها وقت أن حاصرها ملك قشتالة وصمم على أخذها، وهم جميعًا -إلا واحدًا منهم هو أمير بطليوس الشهم- ينظرون إلى استشهاد المدينة المسلمة، جامدين لا يطمعون إلا في رضاء ملك قشتالة، وفي سلامة أنفسهم. وقد كان ملك قشتالة يعاملهم حسبما رأينا في غير موطن، معاملة الأتباع، ويبتز منهم الأموال الطائلة، باسم الجزية، ويعامل رسلهم وسفراءهم معاملة الخدم)[١].

والمؤرخ عنان يشير إلى ما ذكره ابن بسام في ذخيرته من صورة مأساوية أعقبت سقوط المدينة المركز، حينذاك، والأندلس تعيش يومًا حزينًا (لم يبق ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رسله، وكانت حاله حال من كان قبله. وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم، فخرج مشيختها من عنده وقد سقط في أيديهم. وطمع كل شيء فيهم)[٢].

وهذا التخاذل المؤلم يشبه قادة العرب اليوم، فمن (العجيب أن بعض ملوك الطوائف وقفوا جامدين لا يتحركون لنجدة طليطلة، وكأن الأمر لا يخصهم، فاغرين أفواههم جبنًا وغفلة وتفاهة، بل إن عددًا منهم كان يرتمي على أعتاب ألفونش (أدفونش، ألفونسو السادس Alfonso VI) طالبًا عونه أو عارضًا له الخضوع، بذّلة تأباها النفس المسلمة، تغافلوا عن أن أدفونش لا يفرق بين طليطلة وغيرها من القواعد الأندلسية، لكن العجب يزول إذا

(١) عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دول الطوائف)، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧)، ص٤١٩

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤ م١، ص١٦٦؛ ص٢٤٨.

تذكرنا نزعتهم الأنانية والعصبية... كان بعضهم لا همّ له إلا تحقيق مصلحته وإشباع أنانيته، يتصرف أحيانًا وكأن الأندلس وُجدت لمنفعته وليتربع على كرسي حكم، مهما كان قصير العمر ذليل المكان مهزوز القواعد، انتحلوا الأوصاف... وساروا بأمّتهم نحو الخراب)[1].

فكم من مدينة سقطت، وكم من بلدة انتهكت، وكم من جموع قتلت، ولا مَن يحرك ساكنًا ولو ببيان لا يسمن ولا يغني من جوع؟!!

خامسًا: مؤتمرات قمة تأريخية!

لم يكن زعماء الطوائف يختلفون عن ملوك وحكام العصر الحاضر، ممن هانت عليهم الأمة بأكملها، وساوموا على جراحات أهلها، وتنادوا إلى مؤتمرات قممهم الهزيلة، وهو ما حصل بالفعل وقت نمو فكرة استدعاء المرابطين لإنجاد الأندلس وإنقاذها، حتى ليشعر قارئ حوارات زعماء الطوائف بالأندلس وأتباعهم بالشَبَه الكبير مع القمم العربية المعاصرة خاوية المعنى والمضمون، والباحثة عن إبقاء كراسيهم مهما كان الثمن من ثرواتهم وكرامتهم.

ولنقرأ: (وقد كان ابن عباد قبل هذا، لما رأى أمره في إدبار، وأن الأذفنش قد عزم عليه، شاور خاصته، ووجوه دولته، في شأن استدعاء يوسف بن تاشفين، فأشاروا عليه بمداراة الأذفنش ملك قشتالة، وطلب معاهدته، وعقد السلم معه على ما يذهب إليه من الشروط، وكيف ما أمكن، وأن ذلك أولى من تجويز المرابطين. ثم إنه خلا بعد ذلك بابنه، ووليّ عهده الرشيد أبي الحسن عبيد الله... فقال له ابنه الرشيد: يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا؟ فقال: أي بني، والله لا يسمع عني أبدًا أني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٢.

للنصارى، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، حرز الجِمال والله عندي خير من حرز الخنازير، فقال له ابنه: يا أبت افعل ما أراك الله، فقال: إن الله لم يلهمني هذا إلا وفيه خير وصلاح لنا، ولكافة المُسلميـن)[1].

ثم عندما ندقق في واقعة خلع ملوك الطوائف على يد المرابطين نجد وكأنها تنفيذ حرفي لبيان صادر عن قمة حضرها زعماء الطوائف، حين خشوا على مواقعهم من مقدم قوة ابن تاشفين الفتية، على الرغم من جهده العظيم في إنعاش الأندلس عبر معركة الزلاقة، ووصيته الثمينة لهم بالاتحاد ونبذ عدو البلاد، مما لم تستوعبها نفوسهم المريضة بحبّ السلطة، إذ يقدم ابن الكردبوس رواية مهمة عن خلع ملوك الطوائف، فيقول: (فحسدهم [أي المرابطين] ابنُ عباد وغيره من الرؤساء بقلة إنصافهم، وكثرة بغيهم واختلافهم، فاعتقدوا بهم المكر، وأضمروا لهم النكث والغدر، وخاطبوا ألفنش سرًا، أن يسعوا على المربطين سرًا وجهرًا، ويصيروا له المرابطين طعمة على أن يتركهم على ما بأيديهم عملًا، ويجبون له من الرعية أموالًا، فوقع الاتفاق على ذلك، وسرعوا في تدبير الأمر من هنالك)[2]؛ كما ينوه إلى إدراك ابن تاشفين خطط ملوك الطوائف: (وسرّ القوم في الغدر به، وعنده واضح، ومكرهم في الإيقاع به لائح، لكنه جرى على مرادهم، كأنه لا يعلم حقيقة اعتقادهم، وإنما كان غرضه أن يتبين للمسلمين مذهبهم، وسعيهم الذميم وطلبهم، كي تقوم له الحجة عليهم، عند امتداد يده في عقابه إليهم)[3].

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٤ ـ ٤٥؛ وعن ظروف استدعاء ابن تاشفين وحوارات زعماء الطوائف ومخاوفهم ينظر كذلك: الناصري: الاستقصا، جـ٢، ص٣٣ وما بعدها.

(٢) الاكتفاء، جـ٢، ص ١٢٧٨

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨٠؛ وحول خلع ملوك الطوائف، يراجع كذلك: ص١٢٨٠ - ١٢٨٤؛ وللمقارنة ينظر: النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت بعد ٧٩٢هـ)، كتاب قضاة الأندلس

ولو عدنا إلى مذكرات ابن بلقين نجد أن المرابطين كانوا يشكلون هاجسًا بالنسبة له، وأنه كان يستشعر اللجوء إلى ألفونسو والتفاهم معه (مع احتمالية عدم الالتزام والغدر) الأقرب والأيسر لديه من التفاهم والاتفاق مع المرابطين، وبطبيعة الحال هو يسوق ذلك ضمن تصور يطرحه تجتمع فيه معاني (الضعف الداخلي والضغط الخارجي وفقدان المعين وكثرة الواشين) تبريرًا وتسويغًا، مما جاء متقاطعًا مع مدونات المؤرخين الذين سجلوا واقعة خلعه من قبل يوسف بن تاشفين، إذ نجد إجماعًا على أن ذلك كان بسبب تجدد التواصل والتعاقد مع ألفونسو السادس، فقد (كان جوازه الثالث -أي يوسف بن تاشفين- في سنة ٤٨٣هـ، أنه لما كان على حصن لييط نُقل إليه عن ملوك الأندلس كلام أحفظه ووغر صدره عليهم، وهو الذي أزعجه إلى العدوة، ولما تبين لهم تغيره عليهم وإعراضه عنهم، نظر كل واحد منهم لنفسه بغاية حزمه، فأول من شهر ذلك وتظاهر به وجد فيه المظفر عبد الله بن بلقين بن باديس، واتصلت أنباؤه بيوسف بن تاشفين، فاشتد غضبه وزاد حرجه عليه... وتوالت عليه الأخبار من عبد الله بن بلقين بما يغيظه ويحقده)[1].

لقد كانت القابلية لاستعداء الأشقاء والتعاون مع الأعداء حاضرة لازمة في نفوس زعماء الطوائف، وهو ما أفشل كل محاولات الإصلاح أو الدعوات للتوحيد التي قامت بها ثلة صادقة حينها قادها حينًا ابن الأفطس في لحظات التوهج وابن الباجي وابن تاشفين، أما حالة الصحوة التي مرت على البقية وقت الزلاقة فلم تكن كلها كما يبدو خالصة، فبين الصحو المؤقت والاضطرار للبقاء كان اتخاذهم لذلك القرار.

المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط ٥، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٣)، ص ٩٧.

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص ٧١.

خاتمة:

كانت هذه الصفحات استذكارًا سريعًا ومركّزًا لظاهرة بالغة الخطورة، وقعت في الأندلس قديمًا، ونراها اليوم تتوسع وتأخذ صداها دون اعتبار لنهاياتها، ولا عجب، فذلك حال الأمم التي غلب عليها التأخر، وزهدت في قراءة ماضيها، وبقيت متلذذة بالعيش في ظل السكون المشوب بالبؤس!

وبقي لنا أن نقول: إن الدرس التاريخي يعلمنا أن الفرقة والخضوع للعدو، والاستكانة والتذلل له، والتخلي عن معاني العزة الإسلامية، واعتماد سياسة التطبيع، إنما هي أساس للبلاء، وهو خيار -فضلًا عن بؤسه الأخلاقي- لن يكون نافعًا لمن استظل بظلال خصوم الأمة وقدّمها لقمة سائغة له.

لقد كان غالبية ملوك الطوائف في الأندلس يفعلون مع عدوهم ما يفعله المطبّعون الآن، يتمنّون رضاه ويقدّمون له نفيس الهدايا تقرّبًا وتذلّلًا، وهم يمنحوه -في نفس الوقت- أداة قتلهم ومحوهم!!

ومثلما كان المشهد مأساويًا زمن الطوائف فهو كذلك اليوم، لكن بوادر الخلاص بانت حينها في نمو قوة ساندة تعتمد الانتماء الإسلامي سبيلًا، وتسترجع أصل النهضة المرتكز على معنى الالتزام العظيم، فكما برزت دولة المرابطين لتمدّ الوجود الإسلامي بالحياة مجددًا قديمًا، نحن اليوم بانتظارٍ مليء باليقين المطلق بظهور القوة المخلصة التي ستعيد ترتيب المشهد من جديد.. بعد أن تستند إلى الوعي اللازم والارتباط الوثيق بأسباب الانتصار..

وما ذلك على الله بعزيز.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر الأولية

- ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، تحقيق: أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، ١٩٩٥.
- ابن الخطيب، لسان الدين (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦.
- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (توفي في العقد الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق صالح الغامدي، المدينة المنورة، ٢٠٠٨.
- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩.
- المقري، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٨٨.
- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن (ت بعد ٧٩٢هـ)، كتاب قضاة الأندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ط٥، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٣.

ثانيًا: المراجع الثانوية

- ثقافة التطبيع والحرب الناعمة، مركز الحرب الناعمة، ٢٠٢١.
- الحجي، عبد الرحمن علي:
  - التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دمشق، بيروت، دار القلم، ١٩٧٦.
  - هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها)، أبوظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٣.
- دوزي، رينهارت، ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.
- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني (دول الطوائف)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧.

- ابن نبي، مالك، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.
- الناصري، أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧.

ثالثًا: الدوريات

- لوعراك، محمد، اختراق ممالك النصارى للمجال الأندلسي خلال عصر الطوائف (قراءة في السياقات والأسباب)، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، الجزائر، م٢، ع ١٨، ٢٠٢١.

رابعًا: الرسائل والأطاريح

- سعيد يقين داود، التطبيع بين المفهوم والممارسة دراسة حالة التطبيع العربي ـ الاسرائيلي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بيرزيت، ٢٠٠٢.

نهاية إسرائيل

أ.د. جون ميرشايمر

قراءة وتعريب: عمر السنوي

المدخل الدراسي:

يُعَدّ الأمريكي جون جوزيف ميرشايمر (John J. Mearsheimer) (١٩٤٧م)، أحدَ أبرز أعلام المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، ومِن أشهر المنظّرين لِمَا يُعرف بـ«الواقعية الهجومية» (Offensive Realism) التي ترى أن الدول تسعى دومًا لتعظيم نفوذها وسلطتها حفاظًا على أمنها في نظام دولي فوضوي (anarchic).

ميرشايمر هو أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، عُرف بحدّته في نقد السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، كما عُرف بصراحته في مناقشة النفوذ الإسرائيلي في الولايات المتحدة، واشتهر بمؤلَّفه المشترك مع ستيفن والت «اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية» (٢٠٠٧م)، وهو الكتاب الذي أحدث زلزلة فكرية وسياسية في الأوساط الأكاديمية والإعلامية الأمريكية، لما تضمّنه من تحليل مسهب لآليات النفوذ الصهيوني داخل مؤسسات القرار الأمريكي، وكيفية توجيهه مسارات السياسة الخارجية بما يخدم مصالح إسرائيل حتى على حساب المَصالح القومية الأمريكية ذاتها.

يمتاز ميرشايمر في تحليلاته

بصرامة المنهج الواقعي القائم على حسابات القوة والمصلحة، لكنه لا يخلو من نزعة أخلاقية إنسانية تظهر في نقده اللاذع للسياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، وهو ما تجلّى في مقالته الشهيرة سنة (٢٠١٠م) المعنونة -في ترجمتها العربية- بـ "**إسرائيل والمستقبل الكالح المحتوم**" الذي يمكن أن نسمّيها: **(نهاية إسرائيل)** دون أي مبالغة، فهي مقالة من أجرأ ما كُتِب من النصوص الغربية في التنبؤ بانهيار المشروع الصهيوني من داخله.

المقالة ورؤيتها:

كتب ميرشايمر تلك المقالة في لحظة سياسية حبلى بالتحولات، عقب إخفاق مساعي الرئيس الأمريكي الأسبق: باراك أوباما، في استئناف عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وبعد تعاظُم الاستيطان وميلان المزاج السياسي في إسرائيل ميلًا سافرًا نحو اليمين.

انطلق الكاتب من فرضية جوهرية مفادها أن إسرائيل تسير بخُطى ثابتة نحو ضمّ المزيد من الأراضي الفلسطينية وغيرها تحت سيطرتها الكاملة. وخلص إلى أن هذا المسار سيقود حتمًا إلى واحدة من أربعة إجراءات كلّها تقود إلى نهاية إسرائيل حتمًا:

١. **حلّ الدولتين**: وهو مع كونه أقرب الحلول السلمية إلا أنه أبعد ما يكون عن التحقيق، لأنه مخالف لطبيعة السياسة الإسرائيلية، ومناقض للمبدأ الصهيوني التوسّعي.

٢. **دولة ثنائية القومية**: يتساوى فيها الفلسطينيون واليهود. وهذا الحل يهدم جوهر الفكرة الصهيونية.

٣. **التطهير العرقي**، أي: طرد أو إبادة الفلسطينيين للحفاظ على الطابع اليهودي للدولة.

٤. **نظام الفصل العنصري أو ما يسمى: (الأبارتهايد)**، وهو الأفق الأرجح،

حيث تبسط إسرائيل هيمنتها المُطلقة على الأرض، وتُبقي الفلسطينيين في مناطق معزولة هزيلة السيادة.

ويرى ميرشايمر أن ما يسمّى بـ"حلّ الدولتين" ليس سوى وهمٍ سياسي، لأن ميزان القوة الداخلي في إسرائيل مائل إلى اليمين، ولأن اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة يمنع أي إدارة أمريكية من ممارسة ضغط فعليّ على حكومة إسرائيل. وهكذا تستمر إسرائيل في توسيع مستوطناتها، بينما يُساق العالم إلى تصديق خرافة المفاوضات والسلام.

ويستنتج الكاتب أن الدولة العِبرية، إن استمرّت على هذا النهج، فلن تلبث أن تغدو دولة فصلٍ عنصري مكشوفة، بما يُفقدها شرعيتها الأخلاقية ويجعلها عبئًا استراتيجيًا على الغرب، ومن ثمّ ستنهار فكريًّا وسياسيًّا، وتتحوّل -في نهاية المطاف- إلى دولة ديمقراطية ثنائية القومية يطوي في داخلها الفلسطينيون الحُلمَ الصهيوني طيّ النسيان.

كانت هذه المقالة، في جوهرها، استشرافًا مبكرًا لانحلال المشروع الصهيوني من داخله؛ إذ قرأ ميرشايمر التحولات الديموغرافية والسياسية بوصفها قنابل موقوتة داخل البنية الإسرائيلية، ورأى في تحالف القوة والغطرسة والاحتلال بذورَ الفناء التي ستنبت سقوطًا ذات يوم.

بين الاستشراف والواقع:

بعد مرور أكثر من عقدٍ ونصف على تلك المقالة، جاءت (**حرب غزة ٢٠٢٣–٢٠٢٥م**) عقب عملية **طوفان الأقصى** في السابع من أكتوبر، لتُعيد ميرشايمر إلى صدارة المشهد الفكري مجددًا. وفي سلسلة من المقالات والمقابلات صرّح ميرشايمر بأن ما تفعله إسرائيل في غزة هو "**جريمة ضد الإنسانية**"، وأنها تخوض حرب إبادة

ممنهجة تستهدف المدنيين والبنية المجتمعية الفلسطينية بأسرها.

وقد أعلن بوضوح أنّ (حلّ الدولتين) **قد مات نهائيًا**، وأن إسرائيل قد اختارت طريقين لا ثالث لهما: إمّا الفصل العنصري الدائم، وإمّا التطهير العرقي الشامل. يقول في إحدى مقابلاته (٢٠٢٣م): «لا أعتقد أن حلّ الدولتين ما يزال ممكنًا بعد السابع من أكتوبر؛ فإسرائيل تسير في طريقٍ لا يقود إلا إلى الأبارتهايد أو الإبادة».

إنّ المقارنة بين رؤيته في المقالة القديمة وموقفه الراهن تُظهر **ثبات الجوهر وتحوّل الصيغة**:

- فالرؤية الأولى كانت استشرافًا تحذيريًا، تتنبأ بمآلٍ مظلم إن استمرّت إسرائيل في سياساتها.
- والرؤية الثانية تقرير واقعيّ بأن ذلك المآل قد وقع فعلًا؛ إذ لم يعد الـ"أبارتهايد" افتراضًا بل حقيقة شاخصة.

لقد انتقل ميرشايمر من التحليل الاستباقي إلى الحكم القطعي، ومن التنبيه إلى الإدانة، فاستبدل لغة التحليل البارد بلغة الضمير الأخلاقي، وراح يتحدّث عن **الإبادة الجماعية** و**انهيار السردية الصهيونية**، ورأى أن إسرائيل لم تعد "حليفًا استراتيجيًا" للولايات المتحدة، بل عبئًا يورّطها في صِدامٍ مع العالَمَين العربي والغربي.

تحليل ونقد:

تُظهر المقارنة أنّ ميرشايمر كان ثابتًا في رؤيته البنيوية للمسألة الإسرائيلية/الفلسطينية: فالدولة اليهودية القائمة على السيطرة لا يمكن أن تبقى ديمقراطية أو أخلاقية. لكنّ التطورات بعد ٢٠٢٣ جعلت تحليله أشدّ واقعية وأقرب إلى التحقّق، حتى بات يتحدث عن **مرحلة ما بعد الصهيونية** من داخل الخطاب الأمريكي نفسه.

إنّ رؤيته سنة (٢٠١٠م) بأنّ إسرائيل إن سارت على نهجها ستغدو دولة فصلٍ

عنصريٍّ منبوذة، قد تحققت اليوم بجلاء، فالحرب على غزة لم تَعُد تُظهِر إسرائيل بوصفها دولة محاصَرة، بل كقوّة استعمارية تمارس العنف الأقصى بلا قيدٍ أخلاقي ولا سياسي.

ولعل المفارقة التي نبّه إليها ميرشايمر قديمًا -أن اللوبي الإسرائيلي نفسه يعمل من حيث لا يشعر على تدمير مستقبل الدولة التي يدافع عنها- قد بدت اليوم أوضح من أي وقتٍ مضى، إذْ صار الدفاع عن إسرائيل عبئًا أخلاقيًّا على الغرب، وأضحى الحُلم الصهيوني في مواجهة سؤال البقاء ذاته.

خلاصة القول:

إنّ مقالة ميرشايمر سنة (٢٠١٠م) كانت بمثابة **بشارة** بنهاية الدولة العبرية الصهيونية، أما مواقفه بعد السابع من أكتوبر (٢٠٢٣م) فقد صارت **شهادة وفاة** فكرية لذلك الكيان من منظور العقل الغربي نفسه.

فما كان ذلك الحين تنبّؤًا تحليليًّا، أصبح اليوم واقعًا ناطقًا: إسرائيل تمضي في طريق الفصل العنصري والتطهير، والغربُ -بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية- بدأ يواجِه استحقاقات ذلك الانحياز الأعمى الذي نبَّه إليه ميرشايمر منذ خمسة عشر عامًا[1].

(١) نُشرَت مقالته في صحيفة: شيكاغو تريبيون، بتاريخ: ٩ - أيار/ مايو - ٢٠١٠م. ويُنظر أيضًا موقعه الرسمي: www.mearsheimer.com

النصّ المعرّب:

إسرائيل والمستقبل الكالح المحتوم

جون ميرشايمر

لقد استطاع الرئيس باراك أوباما -بعد طول اجتهاد- أن يستميل إسرائيل والفلسطينيين إلى مائدة التفاوض من جديد، راجيًا -ومعه عامة الأمريكيين- أن تُفضي هذه المباحثات إلى قيام دولةٍ للفلسطينيين في غزة والضفة الغربية. غير أنّ هذا المأمول -مع الأسف الشديد- مما لا يُرجى وقوعه، بل المرجَّح عند ذوي البصائر أنّ تلك الديار ستُضَمُّ آخر الأمر إلى ما يُسمّى بـ"إسرائيل الكبرى"، فتغدو -لا محالة- دولةَ فصلٍ عنصري، تُشاكِل في نظامها ما كان عليه حكم البيض في جنوب أفريقيا.

وللمستقبل القريب بشأن إسرائيل والأراضي المحتلّة أربعةُ مسالك محتملة؛ أشهرها وأكثرها دورانًا على الألسنة: حلُّ الدولتين. وفيه تقوم دولة فلسطينية على ما يزيد على خمسةٍ وتسعين في المئة من أرض الضفة الغربية، وعلى كامل قطاع غزة، مع تبادلٍ في بعض الرقع من الأرض يُعوِّض الفلسطينيين عمّا تصرّ إسرائيل على ضمّه. وتكون القدس الشرقية عاصمة تلك الدولة.

أما ما عدا هذا الحل، فإنّ جميع البدائل تُفضي إلى قيام "إسرائيل الكبرى"، أي إسرائيل التي تهيمن فعلًا على غزة والضفة.

فأول تلك البدائل: أن تكون دولة ثنائية القومية، يتساوى فيها اليهود والفلسطينيون في الحقوق السياسية. غير أنّ هذا المسار يهدم الأساس الذي قامت عليه الصهيونية، إذ سرعان ما يَرجَح الميزان السكاني لصالح الفلسطينيين.

وثانيها: أن تُقدِم إسرائيل على طرد معظم الفلسطينيين من تلك الأرض، محافظةً

بذلك على طابعها اليهودي من خلال سياسة تطهير عرقي، شبيهة بما وقع عام (١٩٤٨) حين أُرغم سبعمئة ألف فلسطيني على مغادرة ديارهم، فصاروا في الشتات.

أما البديل الثالث والأخير: فهو نظام فصلٍ عنصريٍّ صريح، تزيد فيه إسرائيل قبضتها على الأرض المحتلّة، وتُلقي بالفلسطينيين في جيوبٍ متفرّقةٍ هزيلة الموارد، قليلة الشأن، لا حظّ لها من استقلالٍ حقيقي ولا سيادة.

وإنّ حل الدولتين -على هناته- لَهو أهون الشرور، وأقربها إلى العدالة الممكنة، غير أنّ أكثر الإسرائيليين يأبَون التضحية بما يرونه "مكاسب تاريخية" لتحقيقها. ففي الضفة الغربية ما يزيد على أربعمئةٍ وثمانين ألف مستوطن، مع شبكةٍ واسعةٍ من الطرق الالتفافية والواصلة التي تربط المستوطنات ببعضها وتفصلها عن القرى الفلسطينية.

وقد أظهر استطلاعٌ أجراه معهد ترومان في الجامعة العبرية في شهر آذار (٢٠١٠م) بين المستوطنين، أنّ واحدًا وعشرين في المئة منهم يرون: "وجوب استعمال كل وسيلة لمنع إخلاء معظم مستوطنات الضفة، ولو كان في ذلك حمل السلاح". وإنّهم لَفي منأى عن القلق، لأنّ رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو سائر على نهج التوسع في الاستيطان، لا يحيد عنه.

لا ريب أنّ في إسرائيل نفرًا من الساسة البارزين -كوزيرة الخارجية السابقة تسيبي ليفني، ورئيس الوزراء الأسبق إيهود أولمرت- ممّن يرفعون لواء الدعوة إلى حلّ الدولتين، بَيْدَ أنّ هذا القول -وإن تزيّا بزيّ الحكمة- لا يدلّ على أنّهم راغبون حقًّا أو قادرون على تقديم التنازلات التي لا قيام لدولة فلسطينية معتبرة إلا بها؛ فأولمرت -يوم كان في سدّة الحكم- لم يفعل ذلك، ولا يُظنّ أنه ولا ليفني يستطيعان أن يحشدا من بني قومهما من يؤازر مشروعًا حقيقيًّا لحل الدولتين؛ فقد مال ميزان السياسة في إسرائيل خلال العقد الأخير ميلًا شديدًا نحو اليمين المتطرّف، حتى خلا المسرح السياسي

تقريبًا من حزب أو حركة ذات وزن تُناضل من أجل إحلال السلام.

ويرى بعض المؤمنين بحل الدولتين أنّ إدارة أوباما قادرة على إرغام إسرائيل على القبول بهذا المآل؛ فليس بخافٍ أنّ الولايات المتحدة أقوى دول الأرض، وأنّ لها على إسرائيل من النفوذ ما يتيح لها الضغط عليها، وهي التي تغدق عليها المدد السياسي والمادي. لكنّ الحقيقة المشهودة أنّه ما مِن رئيسٍ أمريكي يطيق الضغط على إسرائيل لتغيير سياساتها تجاه الفلسطينيين، والعِلّة في ذلك: "اللوبي الإسرائيلي"، وهو تحالف شديد البأس من اليهود الأمريكيين والإنجيليين المسيحيين، له أثر بالغ في رسم سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. وقد صدق ألان ديرشويتز إذ قال: «إنّ جيلي من اليهود أصبح جزءًا مما لعلّه أنجحُ جماعة ضغط وجمع تبرعات في تاريخ الديمقراطية».

تأمّل أنّ كل رئيس أمريكي منذ عام (١٩٦٧) عارض بناء المستوطنات، ومع ذلك لم يستطع أحدٌ منهم أن يوقف إسرائيل عن التمادي فيها. ولا برهان على أنّ أوباما يخالف أسلافه في هذا الشأن؛ فقد طالَب -عقب توليه الرئاسة- بوقف الاستيطان في الأراضي المحتلة، فعصاه نتنياهو؛ ثم ما لبث أوباما أن خضعَ له. ومنذ عهدٍ قريب صرّح الرئيس أنّه يريد من إسرائيل وقف البناء في القدس الشرقية، فجاءه رد نتنياهو: "إنّ البناء هناك لن يتوقف لأنها جزء لا يتجزأ من الدولة اليهودية". وسكتَ أوباما -وقد أحاط به ضغط اللوبي الإسرائيلي- ولم ينبس ببنت شفة، فضلًا عن أن يتوعّد إسرائيل بعقوبة.

غاية ما يطمح إليه أوباما هو تحريك ما يسمّى بعملية السلام، غير أنّ أكثر الناس يعلمون أنّ هذه المفاوضات ليست سوى مسرحية هزيلة. فالفريقان سيغرقان في أحاديث لا تنتهي، بينما تواصل إسرائيل ابتلاع الأرض الفلسطينية شبرًا شبرًا. ومن ثَمّ، فإنّ العاقبة المرجّحة هي نشوء "إسرائيل الكبرى" ما بين نهر الأردن والبحر المتوسط.

ولكن مَن عسى أن يسكن هذه الدولة؟ وأيّ نظام سياسي سيكون لها؟

أما أن تكون دولة ديمقراطية ثنائية القومية، فذلك مما لا يُرتجى في الوقت القريب؛ إذ إنّ أكثر يهود إسرائيل لا يرغبون في العيش تحت سلطة تغلب فيها الكثرةُ العربيةُ الفلسطينية. وأما التطهير العرقي -الذي يضمن أكثرية يهودية- فهو خطة سفّاكة لا ريب في ذلك، فيها من الجرائم الكبرى ما يحطم ما تبقّى من مَزاعم الأخلاق في الكيان الإسرائيلي، ويفسد صلته بيهود الشتات، ويضعه في مصاف المجرمين بين الأمم. ولا يُتصوّر أن يرضى صديقٌ صادقٌ لإسرائيل بمثل هذا الإثم المبين.

فالنتيجة الأظهر أنّ "إسرائيل الكبرى" ستغدو دولة فصل عنصري تام، لها قوانين مزدوجة، وطرقات مزدوجة، ومسكن مزدوج، أحدها لليهود والآخر للفلسطينيين. بل إنّ الفلسطينيين اليوم محصورون في جيوب فقيرة بائسة. وقد أقرّ بهذا الأمر رئيسا الوزراء الإسرائيليان السابقان إيهود باراك وإيهود أولمرت؛ فقد قال أولمرت: «إن فشل حل الدولتين سيجرّ إسرائيل إلى صراع على غرار جنوب أفريقيا»، بل ذهب إلى أبعد من ذلك قائلًا: «حالما يقع ذلك، تكون دولة إسرائيل قد انتهت».

وقد صدق أولمرت في هذا القول. فإن الدولة اليهودية إذا أُلزمت بحمل نظام "أبارتهايد" على ظهرها فلن تلبث طويلًا، إذْ إن التمييز والقهر اللذَين يقوم عليهما الفصل العنصري نقيضان لِقَيم الغرب التي يتشدّق بها. وكيف يمكن لإنسانٍ في أمريكا -حيث تُقدَّس الديمقراطية وتُلعَن العنصرية- أنْ يدافع عن مثل هذا الباطل؟

وكيف يُتصوَّر -والحال هذه- ألّا تُدان تلك السياسة في المَحافل الأخلاقية والإنسانية؟ بل كيف يُعقَل أن تبقى للولايات المتحدة "علاقة خاصّة" بدولة تقوم على الفصل العنصري؟!

بل الأقرب إلى العقل أن ينهض الشعب الأمريكي -نفسه- لمعارضة ذلك النظام العنصري معارضةً صارمة، وأنْ يعمل جهده على تغييره واجتثاث جذوره.

ثم إنّ إسرائيل، إذا غدت دولة "أبارتهايد"، ستغدو عبئًا استراتيجيًا على الولايات المتحدة بدل أن تكون لها عونًا أو حليفًا.

ولهذا، فإنّ العاقبة المحتومة -في نهاية المطاف- أن تتحول "إسرائيل الكبرى" إلى دولة ديمقراطية ثنائية القومية، يكون زمام أمرها السياسي في أيدي مواطنيها الفلسطينيين، وحينئذٍ يُطوى ما يُسمّى بـ"الحلم الصهيوني" طيَّ النسيان.

والمُدهش في هذه القضية أنّ اللوبي الإسرائيلي نفسه يسهم من حيث لا يشعر في تدمير مستقبل إسرائيل بوصفها دولة يهودية. والأعجب من هذا أنّ هناك مَخرجًا بديلًا، سهل التحقّق نسبيًّا، وهو أوضح ما يكون ملاءمةً لمصلحة إسرائيل نفسها، ألا وهو "حلّ الدولتين"، فما أشدَّ العجب من أنّ إسرائيل وأنصارها في أمريكا لا يكدّون لإقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة، بل يُسرعون -لا يثنيهم وازع- نحو بناء دولة تقوم على التمييز العنصري! وإنّ هذا لَمَسلَك يخالف العقل والمنطق، فلا يستقيم من جهة الخُلُق ولا من جهة السياسة والمصلحة.

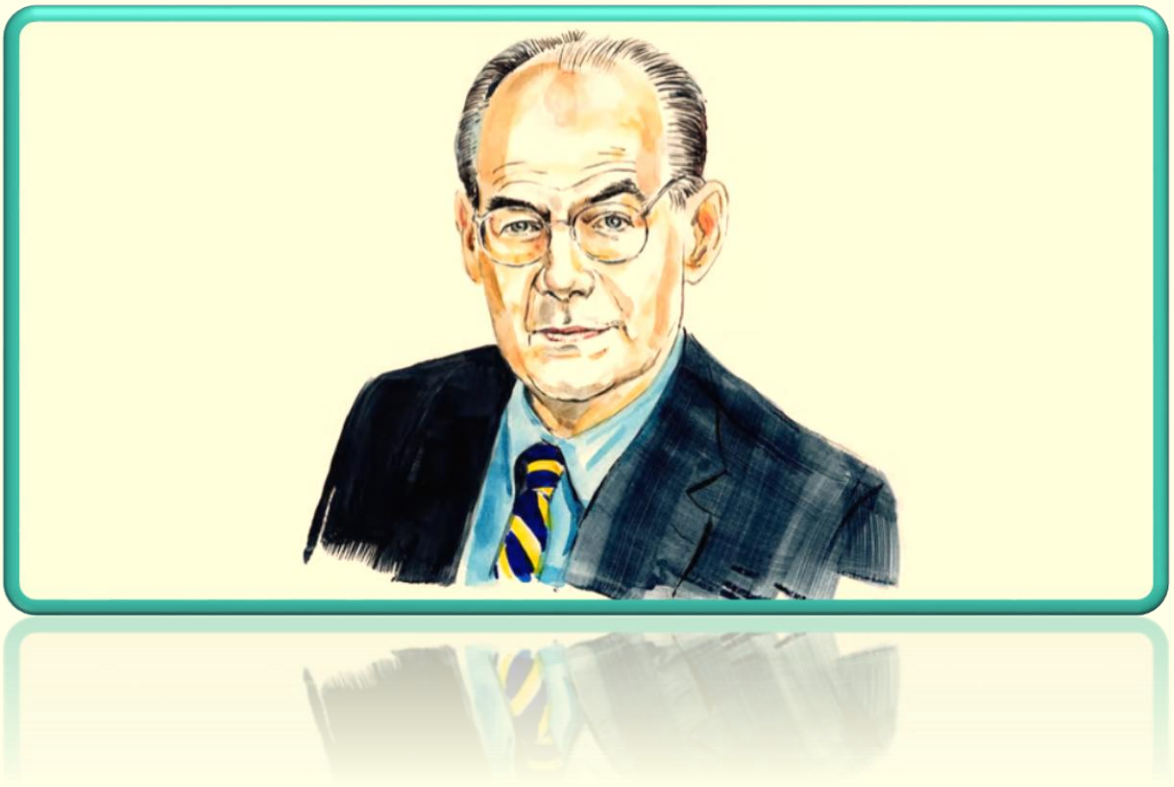

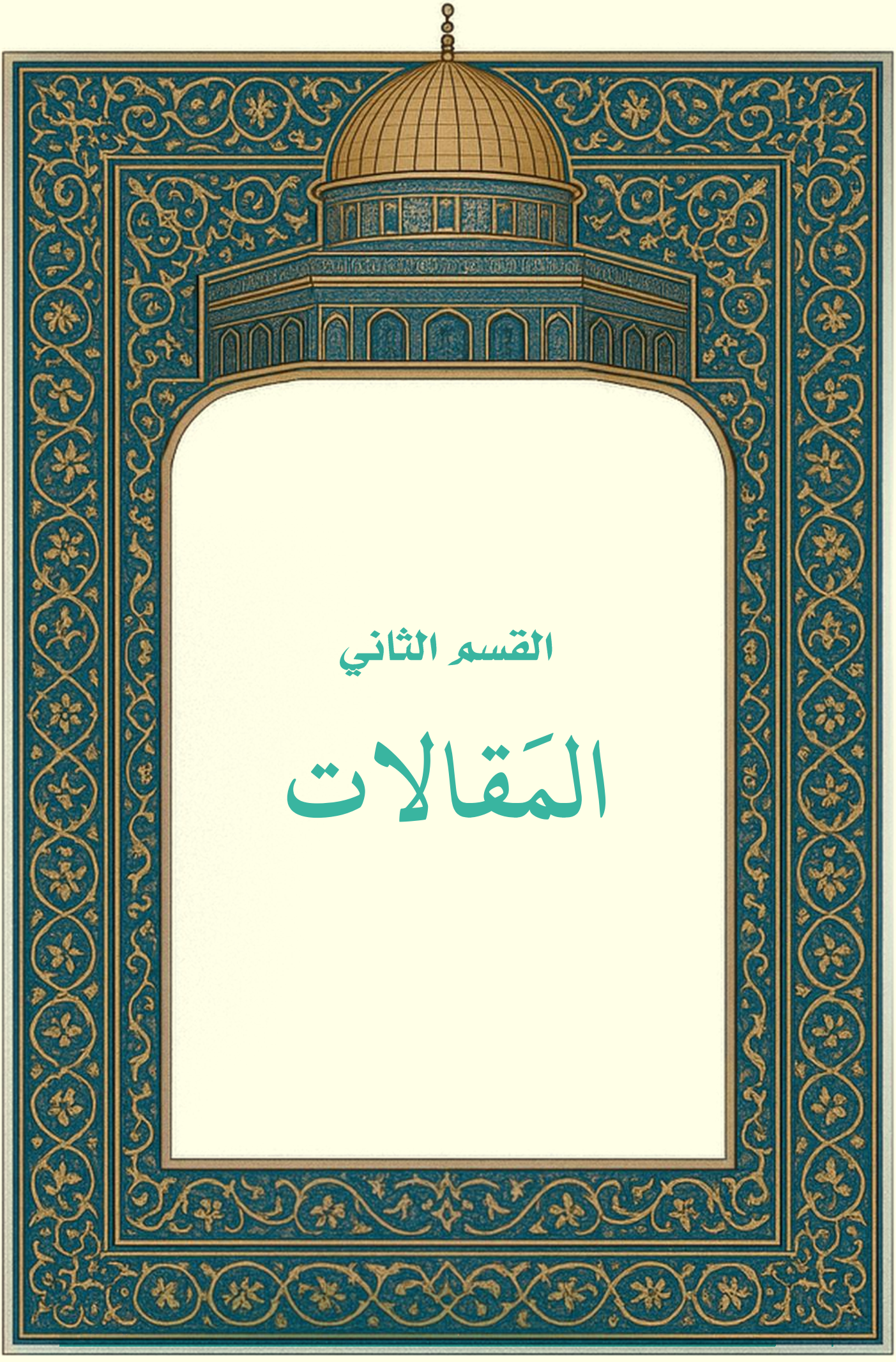

القسم الثاني

المَقالات

مشروعية المقاومة في القوانين الدولية

إلياس القاسمي

باحث في العلوم الإنسانية، من تونس

المقاومة بمعناها الواسع، هي ردّ فِعلِ الشعوبِ والأفرادِ ضدّ الظلم والقمع، وقد اتخذَت عبر التاريخ أشكالًا متعدّدة من السلمية إلى المسلحة.

وعلى الرغم من الاختلاف في أساليب المقاومة وأهدافها، تظل مسألة مشروعيتها من أكثر القضايا حساسية في القانون الدولي والسياسة العالمية. ففي حين أن بعض أشكال المقاومة تُعدّ مشروعة بموجب القانون الدولي، فإن البعض الآخر يُنظر إليه على أنه تهديد للاستقرار الدولي.

تتطلب دراسة مشروعية المقاومة فهم السياق القانوني والسياسي الذي تعمل فيه، بما في ذلك المعاهدات الدولية، والقانون الإنساني، والقرارات الصادرة عن الأمم المتحدة.

في هذا المقال، سنستعرض مفهوم المقاومة من وجهة نظر القانون الدولي، مع تحليل شامل للعوامل التي تؤثر على اعتبار المقاومة شرعية أو غير شرعية.

المقاومة في القانون الدولي: المفهوم والأساس القانوني

أ. حق الشعوب في تقرير المصير:

يُعَدّ حقّ الشعوب في تقرير مصيرها أحد أهم المبادئ المعترف بها في القانون الدولي. هذا الحق أساس شرعي يستند إليه كثير من حركات

المقاومة حول العالم. وفقًا للمادة ١(٢) من ميثاق الأمم المتحدة، يُعتبر "تقرير المصير" حقًا لكل شعب، لتحديد مستقبله السياسي والاقتصادي والاجتماعي دون تدخل خارجي.

المادة ١ من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، تؤكد أيضًا على هذا الحق.

بناءً على ما سبق، يُعتبر للشعوب الواقعة تحت الاحتلال أو الاستعمار أو التي تُحرم من حقوقها السياسية حقّ مشروع في مقاومة السلطات التي تنتهك هذا الحق.

ب. القانون الدولي الإنساني:

القانون الدولي الإنساني، ولا سيما اتفاقيات جنيف الأربع لعام ١٩٤٩، والبروتوكولات الإضافية لعام ١٩٧٧، ينظم النزاعات المسلحة ويحدد القواعد التي يجب أن يتبعها المقاتلون.

البروتوكول الأول الإضافي يعترف بحق حركات التحرر الوطني في القتال ضد "الهيمنة الاستعمارية والاحتلال الأجنبي ونُظُم الفصل العنصري".

هذا البروتوكول يعترف، لأول مرة، بالمقاومة المسلحة التي تقوم بها الشعوب المحتلة والمستعمرة كحق مشروع.

وتنص المادة ١(٤) من البروتوكول الأول على أن النزاعات المسلحة التي تقاتل فيها الشعوب من أجل حقها في تقرير المصير يجب أن تُعامل على أنها نزاعات دولية، وتخضع لقوانين الحرب.

ج. قرارات الأمم المتحدة:

الأمم المتحدة لعبت دورًا مهمًا في ترسيخ مبدأ شرعية المقاومة، لا سيما حركات التحرر الوطني.

القرار ١٥١٤ الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٠ بشأن "منح الاستقلال للشعوب المستعمرة" أكد على حق الشعوب في التخلص من

الاحتلال الأجنبي والاستعمار.

كما أن القرار ٣٣١٤ لعام ١٩٧٤ يعرّف العدوان، ويمنح الشعوب الحق في الدفاع عن نفسها ضد العدوان الخارجي.

المقاومة المسلحة والمشروعية الدولية:

أ. حق الدفاع عن النفس:

وفقًا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، يُعَدّ الدفاع عن النفس حقًا مشروعًا لأي دولة تتعرض لهجوم مسلح. وعلى الرغم من أن هذا الحق مُنح في الأصل للدول فقط، إلا أنه تم توسيعه في بعض الأحيان ليشمل حركات التحرر الوطني التي تقاوم الاحتلال أو القمع.

عدد من حركات المقاومة المسلحة، مثل المقاومة الفلسطينية، وحزب الله في لبنان، والمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، تستند في شرعيتها إلى هذا الحق.

من جهة أخرى، تُعَدّ هذه الحركات بالنسبة لبعض الدول والجماعات "إرهابية"، مما يثير جدلًا دوليًا حول الفرق بين الإرهاب والمقاومة المشروعة.

ب. معايير المشروعية في النزاع المسلح:

تُعَدّ مشروعية المقاومة المسلحة محكومة بمجموعة من المعايير التي حددها القانون الدولي الإنساني:

الأول: التفريق بين المدنيين والمقاتلين: يجب على حركات المقاومة المسلحة أن تفرق بين الأهداف العسكرية والمدنية، حيث تُعتبر الهجمات ضد المدنيين جريمة حرب بموجب القانون الدولي.

الثاني: مبدأ التناسب: يجب أن تكون الهجمات العسكرية متناسبة مع الأهداف التي تسعى المقاومة إلى تحقيقها. فأي استخدام مفرط للقوة قد يعَد انتهاكًا للقانون الإنساني.

الثالث: حظر التعذيب والمعاملة غير الإنسانية: يجب على المقاتلين الامتثال لقواعد المعاملة الإنسانية للأسرى والمدنيين، وعدم اللجوء إلى

التعذيب أو القتل العشوائي.

ج. الأمثلة التاريخية للمقاومة المسلحة المشروعة:

المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي: خلال الحرب العالمية الثانية، قاومت المقاومة الفرنسية قوات الاحتلال الألماني، وتعَد هذه المقاومة أحد الأمثلة البارزة على المقاومة المشروعة ضد الاحتلال.

حركات التحرر الوطني في أفريقيا: كانت حركات التحرر الوطني ضد الاستعمار الأوروبي في أفريقيا تُعَد مشروعة على نطاق واسع، وحصلت على دعم دولي من الأمم المتحدة وحركات عدم الانحياز.

المقاومة السلمية ومشروعية النضال اللاعنفي:

أ. المقاومة السلمية كأداة للتحرر:

المقاومة السلمية، التي تعتمد على الاحتجاجات الجماهيرية، الإضرابات، والمقاومة المدنية، هي شكل آخر من أشكال المقاومة التي يعترف بها المجتمع الدولي. غاندي في الهند ومارتن لوثر كينغ في الولايات المتحدة استخدما هذه الأساليب لتحقيق أهدافهما السياسية والاجتماعية.

المقاومة السلمية هي في الغالب أكثر شرعية على الصعيد الدولي، نظرًا لأنها تتجنب العنف وتتيح فرصة لتحقيق الأهداف من خلال الوسائل الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية.

وقد تم الاعتراف بالحق في الاحتجاج السلمي في العديد من الوثائق الدولية، بما في ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

ب. نجاح المقاومة السلمية في تحقيق التغيير:

حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة: قادت مقاومة مارتن لوثر كينغ السلمية، حركة الحقوق المدنية، مما أدى إلى تحقيق تقدم كبير في القضاء على

التمييز العنصري.

ثورات الربيع العربي: في بداية الثورات، اعتمد عدد من المتظاهرين على المقاومة السلمية للإطاحة بالأنظمة الاستبدادية، على الرغم من تحول بعض هذه الثورات إلى نزاعات مسلحة لاحقًا.

التحديات التي تواجه مشروعية المقاومة:

أ. الخلط بين المقاومة والإرهاب:

أحد أكبر التحديات التي تواجه مشروعية المقاومة هو الخلط بين المقاومة المشروعة والإرهاب. بعض الدول تستخدم مصطلح "الإرهاب" لتشويه سمعة حركات المقاومة المسلحة، على الرغم من أن الأخيرة تقاتل ضد الاحتلال أو القمع. هذا الخلط يعزز من تعقيد التعامل الدولي مع حركات التحرر الوطني.

ب. استخدام القوة المفرطة من قبل القوى المحتلة:

القوى المحتلة غالبًا ما تستخدم القوة المفرطة لقمع حركات المقاومة، مما يزيد من معاناة السكان المدنيين ويخلق حالة من العداء المتزايد. **الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية يُعَدّ مثالًا بارزًا على ذلك**، حيث يُتهم الجيش الإسرائيلي باستخدام القوة المفرطة ضد الفلسطينيين.

ج. التوتر بين القانون الدولي والسيادة الوطنية:

في بعض الحالات، تُعَدّ المقاومة داخل الدول ذات السيادة مسألة معقدة، حيث تعتبر بعض الحكومات أي تمرد أو معارضة مسلحة تهديدًا لأمنها الداخلي. هذا يثير تساؤلات حول حدود التدخل الدولي لدعم المقاومة داخل الدول ذات السيادة.

آفاق مشروعية المقاومة في المستقبل:

أ. تعزيز القانون الدولي:

المستقبل قد يشهد مزيدًا من التعزيز لمشروعية المقاومة من خلال تطوير أطر قانونية دولية أكثر وضوحًا

تفرق بين المقاومة والإرهاب. هذا قد يتطلب توسيع دور المحاكم الدولية كالمحكمة الجنائية الدولية في التعامل مع قضايا حركات التحرر الوطني.

ب. دور المجتمع الدولي:

المجتمع الدولي، بما في ذلك الأمم المتحدة ومنظمات الحقوق الدولية، سيظل دورها أساسيا لدعم المقاومة المشروعة ورفض أشكال القمع غير القانوني.

الخلاصة:

نخلص مما سبق إلى أنّ مشروعية المُقاومة تعتمد على مجموعة من العوامل السياسية، والقانونية، والإنسانية.

وسواء أكانت المقاومة مسلحة أم سلمية، فإن الاعتراف الدولي بها يتطلب الامتثال لقواعد القانون الدولي والشرعية الإنسانية.

الإسناد الإعلامي المرئي لعملية طوفان الأقصى

سلطان صلاح

مدير التحرير

تُشكّل وسائل الإعلام في العصر الحديث دورًا مهمًّا جدًّا في تشكيل الوعي الشعبوي، وتجد أكثر الناس حتى ممن لا يمتّ بِصلة إلى أي فكرة أو ليست له دراية بأي سياق من سياقاتها، مِن أكثر المتحمسين للدفاع عنها، والتشنيع على من ينتقدها أو يعاديها، مهما كان شأنه. ونجد هنا تأثير الإعلام واضحًا في نازلة العصر: حرب طوفان الأقصى؛ فلم يكد يخطر ببال أحد رؤية بعض المنساقين خلف الشهوات وهم ينشرون خطابات أبي عبيدة ويبكون إسماعيل هنية ويحرّضون على المقاطعة ويخرجون في الوقفات الاحتجاجية ويملؤون صفحاتهم بأجمل الشتائم للصهاينة، وما هذا إلا نتيجة من نتائج التأثير الإعلامي الواسع في تشكيل عقلية الفرد، ولعلها لا تكون صحوة مؤقتة بل صحوة دائمة توجه الفرد نحو رؤية نفسه والسعي في صلاحها، إذ بصلاح الفرد صلاح الأمة، وبه تتحقق الغايات العظمى والأهداف الكبرى، فمتى وجد الفرد نفسه منتسبًا إلى أمة خضع بكل كيانه لمرجعية الوحي المتمثلة بكتاب الله وسنة رسوله العظيم ﷺ. يقول رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا».

ومن هنا نستطيع أن نقول بكل فخر: إن المقاومة على الرغم من كل التضحيات الجسيمة التي قدمتها فداءً للأمة نجحت نجاحًا قويًا في إدارة المعركة الإعلامية ضد عدوها بحيث استطاعت الدخول لكل بيت معلنة قضيتها وصارخة بأعلى صوتها: أنا أقاوم إذن أنا الأمة. فالمقاومة اليوم هي من تذب وتدافع عن شرف الأمة بكافة أطيافها، فلا أرى أبو عبيدة وهو يخرج ببياناته إلا وأتمثل قول عنترة:

إِنّي أَنـا لَيثُ العَرينِ وَمَن لَهُ

قَلبُ الجَبانِ مُحَيَّرٌ مَدهوشُ

إِنّي لَأَعجَبُ كَيفَ يَنظُرُ صورَتي

يَومَ القِتـالِ مُبارِزٌ وَيَعيشُ

وكذا أرى إسماعيل هنية ويحيى السنوار وكافة رجالات جهادنا المقدس الذين جاهدوا في الله حق جهاده، فنسأل الله أن يتقبلهم في الشهداء ويجعلهم في زمرة السعداء.

في كل نازلة من نوازل الأمة في عصرنا ينقسم الناس إلى فسطاطين: فسطاط حق، وفسطاط تخذيل لأهل الحق، ولكن هل ينطبق المقياس إذ وضعناه للإعلام؟ إذْ إنّه من المؤكد أنّ للأعلام مآرب عدة من نشره بعض الأخبار لخدمة المصالح التي تدرّ على القناة الأموال، بل وتكون متسقة مع المنهج الذي يسير مع البقعة الجغرافية التي تشغلها القناة، أو صاحبها. وعلى النقيض لا نعدم الخير في أمة الجهاد، فمَن قال: هلك الناس، فهو أهلكهم! فلا يزال بعض الإعلاميين يتحلى بأخلاق المهنة، ويتوخى الحذر في نقل الخبر، ويتصف بالصدق والأمانة وحسن السيرة، ويشعر بالمسؤولية التي حمله الله إياها، إذ إنه مسؤول عن نقل أخبار الناس سعيدها وحزينها، وهو المسؤول عن تحريك الجالسين في البيوت بلا أي معرفة بما يجري حولهم. فإنْ دَوّن أهلُ الحديث فيما مضى كتبًا في الجرح والتعديل لمعرفة سلامة الرواة من جهة

الضبط الخُلقي والعِلمي ليُروى عنهم، **فواجبنا كذلك أن ندوّن في أخلاقيات كل عامل ينتمي إلى جموع هذه الأمة المباركة، لنؤدي أمانة التاريخ، ونشكر مَن سعى في نصرة قضية الأمّة.**

ولقد تكاثرت وسائل الإعلام المختلفة في عصرنا، خصوصًا بعد ثورة الإنترنت، ونجدها متعددة المناحي والأشكال، تندرج تحت قسمين رئيسَين:

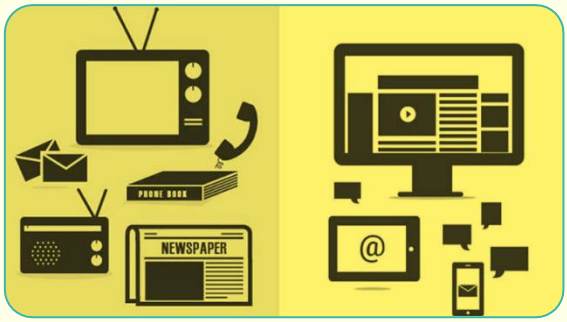

١. **وسائل إعلام تقليدية:** وهي الوسائل التي تضم الصحف والمجلات والإذاعة والتلفزيون.

٢. **وسائل إعلام حديثة:** وهي الطرق الجديدة في الإعلام والاتصال في البيئة الرقمية التي تسمح لمجموعة من الناس بإمكانية الانتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع أصواتهم وأصوات مجتمعاتهم إلى العالم أجمع.

من وسائل الإعلام التقليدية: (المحطات التلفزيونية)

أ. قناة الجزيرة:

تكاد ذكرياتي المرتبطة بالقضية الفلسطينية وسائر قضايا الأمة لا تخرج عن قناة الجزيرة، فمنذ طفولتي لا أنسى لقاءات أحمد منصور "شاهد على العصر" مع قادة المقاومة، لا أنسى الوثائقيات التي أخرجتها عن حياة الشيخ أحمد ياسين، وعن النكبة، وعن إسماعيل هنية، وعن منطقة الخليل، وعن القدس، وكل ما يخص فلسطين ورجالاتها. إضافة لذلك عملت قناة الجزيرة منصة خاصة في موقعها الرسمي لأخبار فلسطين وكانت مواقف الحكومة الصهيونية منها

مواقف معادية منتهكة لكل الاعتبارات التي تكفل حق الإعلام، ففي يوم ١٥ يوليو ٢٠٠٩، أغلقت السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية مكاتب الجزيرة في الإقليم، ردًا على ما بثته القناة من تصريحات فاروق القدومي بأن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس له يدٌ في وفاة ياسر عرفات. فاتُّهِمَت القناة بالتحريض ضد منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية. وفي يوم ١٩ يوليو ٢٠٠٩ أُلغِيَ هذا الحظر، وسُمِح للجزيرة باستئناف عملها.

وقام الاحتلال الصهيوني في ١١ مايو ٢٠٢٢م، باغتيال مراسلة الجزيرة: **شيرين أبو عاقلة**، أثناء تغطيتها الأحداث الدائرة في مدينة جنين.

وفي الخامس من مايو ٢٠٢٤، أوقفت الحكومة الإسرائيلية، عمل شبكة الجزيرة التلفزيونية القطرية في إسرائيل، على خلفية اتهامات بـ"التحريض" ضد إسرائيل.

وكتبَ رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتانياهو، على حسابه في "إكس" وقتها: "قررت الحكومة برئاستي بالإجماع: إغلاق قناة (التحريض) الجزيرة في إسرائيل".

كما أُغلِق مكتب قناة الجزيرة في رام الله من قبل إسرائيل، بتاريخ ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٤، إذ اقتحم الجيش الإسرائيلي مدينة رام الله في الضفة الغربية، وأغلق مكتب قناة الجزيرة القطرية الواقع في وسط المدينة.

أضف إلى ذلك استشهاد عدد من إعلاميي القناة في الحرب الأخيرة، ومن أبرزهم المراسل الشاب **أنس الشريف**.

ومِن جُملة الإعلاميين الذين سجّلوا بصمتهم الواضحة في الحرب الأخيرة من ضمن كادر الجزيرة:

١. وائل الدحدوح:

هو فخر الرجال، الصابر الثابت الراضي بقضاء ربه، أبو حمزة وائل الدحدوح الغزي، ولد في منبع الرجال مدينة غزة الأبية في ٣٠ أبريل نيسان ١٩٧٠م. بدأ سني حياته صحفيًا في صحيفة القدس العربية ثم التحق بالجزيرة وشملته يد الشيطان الصهيونية فاعتُقل سبع سنواتٍ في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

كان وجه وائل معروفًا بتغطيته المتواصلة والمستمرّة لما يجري في قطاع غزة كونه مراسلًا رئيسيًا للقناة هناك.

تعرضّت أسرة الدحدوح، يوم ٢٥ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٢٣م، لقصف العدو الغاشم الصهيوني على منزله في مخيم النصيرات بغزّة، ما تسبّب في مقتل زوجته وابنه وابنته وحفيده، وذلك بعد أن كانت سلطات الاحتلال قد حثت المواطنين على النزوح نحو جنوب قطاع غزّة بدعوى أن المنطقة هناك لا تشملها العمليات العسكرية.

ولما بلغه الخبر خرج من البثّ وهرعَ مسرعًا ليكتشف أن غارة العدو هوت على أهله وسبقوه إلى نعيم الآخـرة -إن شاء الله-.

سجَّل لنا الإعلام اللحظات الأولى من كلام وائل بعد مقتل أهله حين قال: «بنتقموا منا بالأولاد؟ دموعنا دموع إنسانية وليست دموع جبن وانهيار، فليخسأ جيش الاحتلال».

لذا حفر في جدار عاطفتنا مواساةً لا حدّ لها معه، وحفر في جدار عقلنا

ثأرًا لا ينطفئ حتى نأتي برأس أعتى خنزير منهم تحت نعالنا.

ومن جملة الرزايا والكرب التي أحاطت هذا الرجل إصابتُه الشديدة برفقة زميله المصور سامر أبو دقة يوم ١٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٣م، خلال تغطيته قصفًا استهدف مدرسة حيفا في خان يونس، قبل أن يُفارق سامر أبو دقة الحياة هناك.

ومن آخر مصائبه: استشهاد نجله الصحفي حمزة الدحدوح، يوم ٧ كانون الثاني ٢٠٢٤م، في قصف إسرائيلي.

ومن شمائل هذا الرجل الكريم العربي الأصيل: غيرته المتوقدة، ففي منظر جنازة ابنه حمزة، حين بدَت بضعة شعرات من جانب حجاب زوجة ابنه، فما كان منه إلا أن يدخلها بيده وسط البكاء والصراخ.

وكان مما كتب في استذكار نجله حمزة: «آهٍ يا حمزة الروح، ويا مهجة القلب، ويا كل شيء... في مثل هذا اليوم قبل ثمانية وعشرون عامًا أكرمني الله بمجيئك إلى الدنيا، فكنتَ فرحتي، ولهفتي، ولوعتي... وقبل سبعة أشهر من عُمُرِ أبشعِ الحروب، قتَلوا الفرحة وأبقوا اللوعة... فماذا أقول لك يا بُني في يوم ميلادك؟ فلقد انفطر القلب شوقًا لك ولهم جميعًا، فنَمْ قرير العين بجوار ربك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ومما كتب في ذكرى ميلاد زوجه الراحلة: «يا وطنًا عشتُ فيه، واستندتُ إليه... وتنسّمَتْ روحي هَواه... أنتِ وطني. طاب يومك في يوم ميلادك».

٢. سامر أبو دقة:

الشاب الأنيق والمصور الدقيق سامر أبو دقة، ولد عام ١٩٧٨م، عاش وترعرع في خان يونس بغزّة، ورفض الخروج منها

على الرغم من تلقيه عروض عمل خارج بلده، فبقي مرابطًا في الميدان، ينقل الحقيقة والخبر ويوثق انتهاكات الصهاينة، حتى استشهد. وكان قد حصل على درجة البكالوريس في الصحافة والإعلام من جامعة الأزهر بغزة، وبدأ عمله صحفيًا في صحيفة الشعب ثم انتقل في عام ٢٠٠٤م للعمل في قناة الجزيرة، وكان من مؤسسي مكتب القناة في قطاع غزة، حيث عمل فيه مصورًا وفنيًا للجزيرة لأكثر من عشرين عامًا.

يحمل الجنسية البلجيكية، وهو أب لثلاثة أبناء وبنت يسكنون بلجيكيا وقد زارهم قبل أشهر من استشهاده مخططًا أن يردّ الفرع إلى الأصل لينبت وينضج، وعلى الرغم من محاولات إقناعه بالخروج منها في وضع الحرب الإسرائيلية عليها، إلا أنّه لم يوافق، وظلّ متمسكًا بقضيته.

استشهد سامر بعد أن ظل ينزف مدة ست ساعات متتالية، إذْ لم تتمكن سيارة الإسعاف من الوصول إليه إثر إصابته إلى جانب الزميل وائل الدحدوح خلال تغطيتهما قصفًا إسرائيليًّا، فارتقى شهيدًا يوم ١٥ ديسمبر في عام ٢٠٢٣م.

وقد وقف وائل الدحدوح فوق قبره وقال: «إنه كان من أكثر الزملاء إخلاصًا لمهنته وللجزيرة، وفقدناه في فعل همجي رغم أننا كنا في مهمة رسمية موافق عليها وبتنسيق مباشر».

ذهب أبو دقة، وفي ذهاب كل مصور ذهابُ ترجمان حي على جرائم العدو.

٣. إسماعيل الغول:

كان يوم استشهاد إسماعيل الغول رزية عظمى ومصيبة فادحة، إذ إنها ضاعفت الحزن الذي لم يكد يلتئم في

فقدان رمز من رموز الجهاد على مستوى الأمة الإسلامية عامة وعلى مستوى فلسطين خاصة ألا وهو القائد المجاهد إسماعيل هنية -تقبله الله وتغمده بالرحمة والرضوان- وكان من المُقدر لهما أن يستشهدا في يومٍ واحد ومكان مشى فيه الاثنين وفي قضيةٍ واحدة ولهما نفس الاسم حتى يكونا دلالة على أن أمة الإسلام أمة واحدة وإنْ كان أحدهم خارج غزة والآخر داخلها، أمة واحدة متماسكة من شمالها إلى جنوبها، ومن مشرقها إلى مغربها، تجتمع في حزنها وفرحها، وتهب هبة رجل واحد لثأرها.

ولد الغول في ١٤ يناير عام ١٩٩٧م، حصل على درجة البكالوريوس في الصحافة من الجامعة الإسلاميّة، وبدأ عمله في مجال الصحافة المكتوبة مراسلًا لصحيفتي الرسالة وفلسطين المحليتين، ثم عمل مع عدة شركات للإنتاج الإعلامي، في غزة ومع بداية الطوفان وقّع عقدًا مع قناة الجزيرة ليكون مراسلًا فيها. اعتُقل في صباح يوم الاثنين ١٨ مارس ٢٠٢٤م، من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي هو وعشرات آخرين إثر اقتحام القوات المحتلَّة لمجمع الشفاء الطبي بمدينة غزة، وتعرض لتحقيق مطوّل مدة اثنتي عشرة ساعة، ثم أُفرج عنه.

كانت الأحزان تجتمع على الغول: حزن الفراق وحزن البعد، ولسان حاله يحاول معارضة ما كتب الجواهري:

قدْ يَقتُلُ الحُزنُ مَنْ أَحْبابهُ بَعُدوا

عنهُ، فكيفَ بمَنْ أحبابُهُ فُقِدوا

افترق عن أحبابه وفقَد الآخرين، ولم يلقَ أيّ أحد منهم، ففقدَ والده نتيجة إصابته بمرض السرطان أثناء مكوثه في غزة بالحرب، وفقد أخوه بالقصف الصهيوني، وكذا بعُد عنه أهلُه وبنتُه طيلة فترة الحرب، وكان يتحرّق شوقًا للقائهم، ولكن متى قُدِّر للمحبين لقاء! ومتى سَمحَت الحرب بالتمنّي!

استشهد إسماعيل الغول في ٣١ يوليو عام ٢٠٢٤م، بعد تغطيته خبر

استشهاد إسماعيل هنية من أمام منزله في مخيم الشاطئ، على سطح منزل مجاور لمنزل إسماعيل هنية، وذلك خلال وجود عددٍ من الصحفيين، ثم أغارت المسيّرات الإسرائيلية بصواريخها على كل من حاول الهروب من موقع القصف.

حاول إسماعيل ورفيقه المصوّر الفرار عبر سيّارتهما، لكنّ المسيّرة الإسرائيلية تعقبتهما وأغارت عليهما عمدًا، وهما المعروفانِ لديها، واللذان يرتديانِ ملابس الصحافة.

تسبّبت هذه الغارة بمقتل مراسل الجزيرة إسماعيل الغول والمصور رامي الريفي في عينِ المكان ليخرج رفيق دربه أنس الشريف يصيح بأعلى صوته: فُصل رأس إسماعيل الغول، ذاك الشاب الذي سقط منه رأسه المليء بالأفكار والأحلام، فمن يدري كيف كان يحلم؟ يترقب الأيام والساعات حتى يلقى زوجه وبنته اللتين باعدهما الصهاينة، وكيف كان يفكر لتطوير عمله الصحفي وزيادة مهاراته لخدمة قضيته!

ب. قناة الرافدين:

قناة تلفزيونية عربية عراقية، تبث من إسطنبول بتركيا، ويقع مقرها الرئيسي في القاهرة. انطلقت في ١٠ أبريل ٢٠٠٦م، على قمر نايل سات، وهي من قنوات المعارضة العراقية ما بعد سقوط البعثية. يقال إنها تابعة لهيئة علماء المسلمين في العراق. شعارها «لأننا حضارة» وسميت باسم حضارة بلاد الرافدين. وهي قناة إخبارية سياسية بالدرجة الأولى، تتابع الشؤون الأخرى وتبث على مدى ٢٤ ساعة. كان لها دورها في بث أخبار عملية طوفان الأقصى كل يوم، ونشرت بيانات هيئة علماء المسلمين بحق أحداث فلسطين، واستضافتهم في حلقة حرة بعنوان: (طوفان الأقصى وواجب الشعوب) في بداية العملية.

ج. قناة التلفزيون العربي:

هي قناة تلفزيونية عربية تتبع مجموعة فضاءات ميديا، تبث برامج إخبارية مع بعض التنويع في البرامج السياسية والاجتماعية والثقافية والترفيهية، ويقع مقر القناة الرئيسي في لوسيل بقطر، ولديها مكاتب في عدد من العواصم العالمية.

تتلخص رؤية القناة حسب الوصف الذي ورد على حسابها في يوتيوب: «تسليط الضوء على آمال المواطن العربي ورؤاه، ونظرته إلى نفسه وإلى العالم والمستقبل، كما تسعى الشبكة لأن تكون صوت ورؤية المشاهد العربي في كل مكان».

كانت القناة صوتًا دائمًا لثورات الربيع العربي وغيرها، وكذلك ظلت على موقفها ثابتة في دعم طوفان الأقصى، فجعلت نافذة مباشرة دائمة لبث الأخبار هناك، وكذلك استضافت عددًا من اللقاءات المهمة حول الطوفان.

أما بقية القنوات فقد أغفلتُ ذكرها لأني لم أرَ منها أي اهتمام خاص بالقضية الفلسطينية، بل لا تعدو أن تنشر بعض الأخبار والبيانات حول ما يحصل هناك، بل وكانت الخسة من بعض القنوات العربية أن تكون صوتًا ناطقًا للشيطان في تثبيط أهل الجهاد، وصدى لإعلام العدو المحتل.

من وسائل الإعلام الحديثة:

الـ(يوتيوب) YouTube

١. قناة عبد الله الشريف:

هو إعلامي ومدوّن وشاعر مصري، اشتهر بالنقد السياسي الساخر، ولد في

مصر، عام ١٩٧٨م.

عُرف بمناهضته للظلم وبغضه للطواغيت بشكل عام، وعبد الفتاح السيسي بشكل خاص، وكلفه هذا الكثير في سبيل قضيته، فتغرب واعتقل بعض أهله.

تميز عمله بكثرة الإنتاج مع دِقّة جمع معلومات المحتوى، وجودة التصميم والتنسيق والإخراج والهندسة الصوتية، وحُسن العرض، والصوت الجهوري المتميز، والحس الفكاهي، والتسريبات عالية الأهمية التي تصل إليه في أغلب حلقاته؛ لذا حصل بفعل هذه العوامل على قاعدة جماهيرية واسعة.

صنع عدة حلقات عن قادة المقاومة المشتهرين المعروفين منهم والمغمورين، ثم مع بداية عملية طوفان الأقصى اختزل كل جهده في النشر لهذه العملية والتنويه برجالاتها والتحليل السياسي وفق معطياتها على مدار موسمين من سلسلة حلقات برنامجه على اليوتيوب.

٢. قناة المخبر الاقتصادي:

كان ضمن استراتيجيات المقاومة في حربها على الصهاينة إضعاف الاقتصاد الذي يقوم عليه الكيان اللقيط، وذلك من خلال الاستنزاف الدائم لها من الداخل خلال القتال العسكري، وهذا ما صرح به أبو عبيدة من خلال بعض خطاباته، ومن الخارج المقاطعة التي انتدب لها أشراف الأمة وحرضوا عليها واستجابت لهم الشعوب، وقامت حملات واسعة بالتعريف بالبضائع التي تديم بقاء الكيان اللقيط، مما سبب خسارة أخرى للعدو.

فكانت حملة "قاطع" بالعراق لها جهد موفق في تبيين البضائع بشكل دقيق، وتوزيع الإعلانات ولصقها في الشوارع، والقيام بالندوات التي تبين أهمية المقاطعة.

ومن غرائب هذا الزمن أنّ بعض المنفصلين عن قضيتنا دينًا ونسبًا قاموا بالمقاطعة في بلدان الغرب، بينما بعض مشايخ العهر والفجور أخذوا بأعلى أصواتهم يحذّرون من المقاطعة ويُعلنون أنها مخالفة للشريعة الغراء ولا تجوز إلا بإذن ولي الأمر! ولا أدري إنْ كان ثمّة تحاليل مختبريّة للدياثة العقدية وقلة النخوة العربية، تُرى ماذا ستكون نتيجة التحليل عند هؤلاء الخنازير؟!

ولعل البعض يظن الكلام أعلاه مجرد كلام إنشائي عاطفي يبوح به المكلوم ليخفف عن نفسه، لكنْ تولّى الدكتور أشرف علي -صاحب قناة المُخبر الاقتصادي- عمَل حلقات عدة حول بيان موارد اقتصاد الكيان والضعف والتدهور الحاصل فيها نتيجة الحرب والمقاطعة والاستنزاف المستمر لها، وبيَّن الأسس الاقتصادية التي يقوم عليها جيش الكيان والموساد.

٣. قناة سما القدس:

كتبت قناة سما القدس في التعريف بنفسها بأنها منظومة إعلامية تخاطب الفلسطينيين في كافة أماكن وجودهم، وتلامس واقعهم واحتياجاتهم.

سما القدس

قدمت القناة مجموعة من السلاسل المهمة في نصرة قضيتنا، منها:

- **الرائي:**

وهي سلسلة يستنطق بها معد البرنامج أصواتَ أشياء هامدةٍ، وأجسادٍ راحلةٍ، بأسلوب سهل، يبيّن أهميتها في نصرة فلسطين.

- **جسر بودكاست:**

وهو أكثر بودكاست تفاعَل مع القضية الفلسطينية وقام بعمل حلقات عدة مع أنصار القضية بمختلف مناصبهم، فمنهم القائد المقاوم، ومنهم المحلل السياسي، ومنهم الباحث الشرعي، كل منهم يقدم الخلاصة النافعة التي تعرِّف بالقضية، وتفتّح عقول جيل الطوفان.

- **شخصيات:**

وهي سلسلة حلقات تبين فيها مجموعة من الشخصيات الفعالة من مختلف الهويات التي ساهمت في نصرة القضية الفلسطينية.

وغيرها من السلاسل النافعة المتميزة في بابها.

٤. قناة عين على التراث:

وهي قناة تهتم بعمل وثائقيات تراثية بمختلف صنوف التراث، فتشرق بك على عوالم الأدب، وترجعك إلى التاريخ، مهتمة بتوثيق أعلام النهضة، يقوم عليها الأستاذ أحمد صبري. ومن جملة ما صنع في دعم القضية الفلسطينية: سلسلة بعنوان "هؤلاء المصلحون والأرض المباركة" استضاف فيها مجموعة من الباحثين، تكلم كل واحد منهم عن موقف عالم من علماء أمتنا من القضية الفلسطينية، ردًّا على الهيئات العلمائية الفاسدة الخاضعة لأهواء السلاطين في زماننا الحاضر، ممن أَغلقَت فمها وتناسَت واجبَها في التحريض على جهاد العدو الأكبر.

٥. قناة بسط بودكاست:

وهو بودكاست يقوم عليه الأستاذ محمد فتوح، يشتبك مع القضايا الفكرية المعاصرة. وكان للطوفان نصيب كبير من حلقاته، باستضافة مجموعة من الشخصيات المهمة.

وفي الختام لا أزعم أني استوفيت كل صوتٍ إعلاميّ حُرٍّ وقَف معَ قضيّتي وساندَها وبثّها في العالَمِين، ولا أقول إنّ كلّ مَن دعمَني فهو المبرَّأ من كلّ عَيب، لكنّ غاية الكتابة استقراء لِمَوقفٍ

تاريخيٍّ محدَّد في نازلة من نوازل العصر، ولعلّ موضوع مقالي يتوسَّع إلى كتابٍ أوسَع مفصَّل شامل.

يا أبناء سعيد بن المسيب وأحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام وابن تيمية الإمام، كونوا لأمة نبيكم خير ناصر قويّ مَتين، ولا تتركوا شرَف نصرتها لغير أهل هذا الدين، ولا تستهينوا بجهدكم اليسير، واحتسبوا أجركم عند العلي الكبير، ولا تسكتوا عن النكير، على إخوة القرد والخنزير، ولا تشمتوا عدوكم بتفرقكم فتكونوا أضحوكة لكل مطبّعٍ خوّانٍ حقير.

أيها الجيل الواعي: عرّفوا بقضيتكم في كل مكان، وأعلنوها بصوت عالٍ يخترق الزمان: نحن أمة القرآن، نحن موجة الطوفان، لا يضرنا الخذلان، ولا ننتظر دعم السلطان، ولا فتوى عالم فتّان، نحن أمة خير الأنام، نحن أمة القادة العظام، حررنا القدس أمس، وسنحررها اليوم بدماء الأحرار، بعون الله العزيز الجبار.

اقتِباسٌ للنصّ بحَذافيره؟
أم تصحيحٌ له بَعد تحريفه؟!
[ردّ مَزاعم اليهود في القرآن الكريم]

عبد الله العنزي

باحث في التاريخ ومقارنة الأديان، من الكويت

لَمَّا ظَهَرَ الإسلام صارَعَ جَميعَ المِلَّل فصرَعها، وقَارَعَ بِهَديهِ جَميعَ النِّحَل فقرَعها، وأخرج بأنْوَاره النَّاسَ مِن الظَّلْمات إلى النُور، وحوَّلَت أحكامُه البَشَرَ إلى الظِلّ وكانوا في الحُرُور، فظَهَرَ بُرْهانهُ على جَميع الأَبَاطِيل، وطَلَعَ به الصَّباح فأطفأ كلَّ قِنْديل، فلمَّا خابَ منهُم الأملُ عن القِيَام في سُوح الخِصام والإلْزام، سلَكوا مَسْلَك العاجِز أمامَ القويّ، وأنْكَروا ما هو عِندَنا وإن كان بديهيَّ أوّليًّا؛ فجَعَلُوا للقرآن الكريم مصادرَ شَتَّى انْتُقِي منها، فمنها السَماوِيّ ومنها ما هو وَضْعيّ يُخَادعُون بها بَعضَ الدَهْماء.

ومن مُفْتَرَيَاتهم قولهم بأنّ القرآن الكريمَ اِقتَبَسَ مِن تلْمُودهم العِبرانيّ!

فهذا الحَبْر الألماني أبراهام جايجر (Abraham Geiger) يُبهر أقرانه باقْتِباسٍ يُسقِط سَماوِيّة القرآن الكريم بزعمه، حيث ادّعى في كتابه: (ماذا تعلّم محمّد من اليهوديّة؟)[1] بأن الآية الثانية

(١) عنوان الأصل: (Was hat Mohammed aus dem Judenthume aufgenormmen).

والثلاثين من سورة المائدة: {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}، مقتبَسة مِن (مِشناه سنهدرين، ٤: ٥): «خُلق الإنسان فردًا لِيَتبيّن أنّ مَن قَتَل فردًا بحسَب الكتاب كُتب عليه أنّه قد قَتل العِرْقَ كلّه؛ ولكن مَن حَفِظ حياةَ فردٍ عُدَّ حافظًا لحياةِ العِرْقِ كلّه».

وهذا زعمٌ باطلٌ مِن وجوه:

أوّلًا: أن التَّلْمُود نَفَسه أحال النّصَّ إلى التَّوْرَاة حيثُ قال "بحسب الكتاب"، وفي كتابهم بعهديه من هذا المعْنَى الشَيْء الكثير.

وأما دعوى اقْتِباس النصّ، فَقولٌ باطل وسنادٌ مائل، ولا سيّما أن التلْمُود لم يكن متُاحًا لغير اليهود، ولم تُعرف لهُ ترجمة عربيّة مُبكرة.

جاء في كتاب" التَّلْمُودُ أصلهُ وتسَلسلهُ وآدابهُ"، الذي نقلهُ من العِبْرانيَّة د. شمعون مُويال، قوله: (والمعروف أن التلمود سواء البابلي، الذي دُوِّن في بابل، أو الفلسطيني الذي دُوِّن في فلسطين، لم يكن مُتاحًا لغير حاخامات اليهود لدراسته وتدريسه، إلى أن بدأ عصر الطباعة في أوروبا في القرن السادس عشر، فبدأت ترجمات التلمود البابلي، تحديدًا في الظهور بترجمات إنجليزية وفرنسية).

٦ - وردت إشارة لمترجم عربي، هو أحمد بن عبد الله بن سلام، في عصر هارون الرشيد، إلى أنه ترجم صدر الصحف والتوراة والأناجيل وكتب الأنبياء من اللغة العبرانية واليونانية والصابئة إلى العربية.

٧ – لم ترد أية إشارة، على الاطلاق، لوجود ترجمة عربية للتلمود.

والاستنتاج الذى نخرج به من هذه النتائج، هو أن اليهود فى البلاد العربية، كانوا حريصين، على إخفاء التلمود، وعدم إطلاع المسلمين عليه، وكانوا يتداولون بعض ما ورد فيه مع خاصة علماء المسلمين شفاهة، عندما كانوا يستفسرون منهم عما ورد فى كتبهم، حول هذه القصة أو تلك من قضايا وإشكاليات تفسير القرآن، وهو ما يفسر سبب وجود "الإسرائيليات" فى بعض التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم.

والمعروف أن التلمود (سواء البابلى، الذى دون فى بابل، أو الفلسطينى الذى دون فى فلسطين)، لم يكن متاحا لغير حاخامات اليهود لدراسته وتدريسه، إلى أن بدأ عصر الطباعة فى أوروبا فى القرن السادس عشر ، فبدأت ترجمات التلمود البابلى، تحديدا، فى الظهور بترجمات إنجليزية وفرنسية، مع حذف العديد من الفقرات التى تسئ إلى المسيح عليه السلام وإلى السيدة العذراء والتى يمكن أن تصدم الجمهور المسيحى، من النص المترجم، وكذلك النصوص ذات الابعاد العنصرية التى تميز بين اليهود (شعب الله المختار) البشر، وبقية شعوب العالم (الجويم) الحيوانات، وتباعا صدرت طبعات عديدة للتلمود بلغات أوروبية أخرى، وخاصة بعد حركة التنوير اليهودى

٨

مرفق رقم (١)

ثانيًا: مسْأَلة التَّشَابُه لا إشكال فيها، لأنّ القرآن الكريم والعهد القديم (بِشِقّيه النّصّي والشَّفَهي) خرَجا من سراج واحد.

فالقرآن الكريم لا ينُكر القَصَص التَّوْرَاتيَّة بالكُلِّيَّة، ولا يَردّ الأصل الإلَهيّ لها، وإذا دفَع نصًّا فهو يدفعهُ لِمَا لَحِقَ أَصْلَه مِن تَحرِيفٍ أَرْضيّ.

ومع ذلك فلا نُسلم لهم بالاقتباس، لأنّ (الترجوم) لم يتَّخذ شكله النهائي إلا بعد الإسلام، وخلال هذه المدة المديدة جرَت عليه عدّة تَعْدِيلات وإضافات، وتم تحريره وتحويره مرات عدّة.

والنسخة الوحيدة المُتاحة لهذا (الترجوم) هي نسخة متأخِّرة جدًّا، تعود إلى القرن السادس عشر، كما جاء في مقدمة كتاب: (ترجوم يوناثان الزائف: سفر التكوين المترجم، مع المقدمة والملاحظات)[1].

2 *Introduction*

ably to Rabbi Jacob ben Nissim, head of the Jewish community of Kirwan in Africa.[2] The relevant part of the reply is as follows:[3]

> And regarding what you have asked about the Targum of Palestine (*Targum Yerushalmi*): by whom was it composed, and the explanations that exist in it on matters of halakoth [*?qtnwt*, lit.: "small items"] and haggadoth, why are these added to it?
>
> We do not know who composed the Targum of Palestine (*Targum Yerushalmi*); in fact we do not even know the Targum itself and we have heard speak of it but little. But if they [i.e., the communities of Palestinian origin] possess a tradition that it was recited in the congregation from the days of the former sages such as R. Ammi and R. Asa and R. El'ai and R. Abba and R. Hananiah, the later (sages) who lived in the days of R. Asa, it is to be considered just as our Targum [i.e., Onqelos], as otherwise it would not have been recited before these princes (lit.: "columns of the world"). . . .

These Geonim were writing from Babylon, the latter to a community believing that the Targum Yerushalmi was that used in Palestine in the fourth century by the well-known named rabbis. References to this Palestinian Targum become more frequent in writings of Western Jewry from about 1100 onward. It is referred to by Rabbi Juda ben Barzillai[4] (of Barcelona) about 1100 under the name "Targum of Palestine" (*Targum shel Erez Israel*), in numerous citations in the *Aruk* of Rabbi Nathan ben Yehiel of Rome (died 1106) under the title *Targum Yerushalmi*,[5] and likewise in citations from then on until the noted Targumic dictionary, the *Meturgeman* of Elias Levita,[6] in the mid-sixteenth century (in 1541).

The advent of printing brought early editions of Targumic material. In 1517 Felix Pratensis, a Jewish convert to Christianity, published a manuscript with portions of Targum Yerushalmi, a second edition of which was printed in 1527. This continued to be reproduced in later editions of the rabbinic Bibles, and is that now known as the Fragment Targum. Mention is made in the works of the fourteenth-century Italian kabalistic writer Menahem Recanati of a paraphrase (Targum) of the Pentateuch by Jonathan ben Uzziel, the reputed author of the Targum of the Prophets. It was apparently little known. Writing about 1540, Elias Levita says that he had heard of this work but had never seen it.[7] Writing shortly after Elias, the Italian writer Asaria de Rossi (1573–75) says that he had seen two identical copies of this paraphrase of the Pentateuch, both beginning with the words *min 'awla bera' h'*, and one bearing the title "The Targum of Jonathan ben Uzziel."[8] It is now recognized that this title, with its reference

[1] In Harkavy's collection of Gaonic responses, *Teshubot ha-Geonim*, 124f.; Berliner, op. cit., 57f.; see also M. McNamara, 1966A, 57f.
[2] Hebrew text in Berliner, op. cit., 173–175. Berliner takes *qtnwt* as "halakoth"; M. Ginsburger (*REJ* 42 [1901] 234), however, as smaller midrashim, such as PRE.
[3] See Dalman, 30; McNamara, 1966A, 59.
[4] *Aruk* citations in *Aruch Completum*, ed. A. Kohut (Vienna, 1878ff.); with Additamenta, ed. Krauss (Vienna, 1937). Kohut worked with inferior MSS; see below, p. 11, and n. 49.
[5] On the *Meturgeman*, see below, p. 12, and n. 55.
[6] *Meturgeman*, ed. Isny (1541); see below p. 12.
[7] In *Me'or 'enaim*, ed. Vilna, 127.

مرفق رقم (٢)

ثالثًا: الذي أخفاه ودلسهُ الحَبْر الألماني أبراهام جايجر، وهو رجل دين ومُلِمّ بالعِبْرِيَّة؛ فحرَّف النصَّ حتى يرفع الحرج عن دينه، وعن نسخته المُترجَمة، كما فعل عندما حذف شتائم اليهود للسيد المسيح، أو اتهامهم لمريم -عليهما السلام-.

(١) عنوان الأصل:

(Targum Pseudo-Jonathan: Genesis Translated, With Introduction and Notes)

والنصّ العِبْرِي جاء محدّدًا باليهود بهذه العنصرية، فدَمُ اليهودي يُعادل كل دماء الخنازير (الأغيار = غير اليهود)!

((לפיכך נברא אדם יחידי ، ללמדך שכל המאבד נפש אחת מישראל - מעלה עליו הכתוב כאילו איבד עולם מלא ، וכל המקיים נפש אחת מישראל - מעלה עליו הכתוב כאילו קיים עולם מלא)).

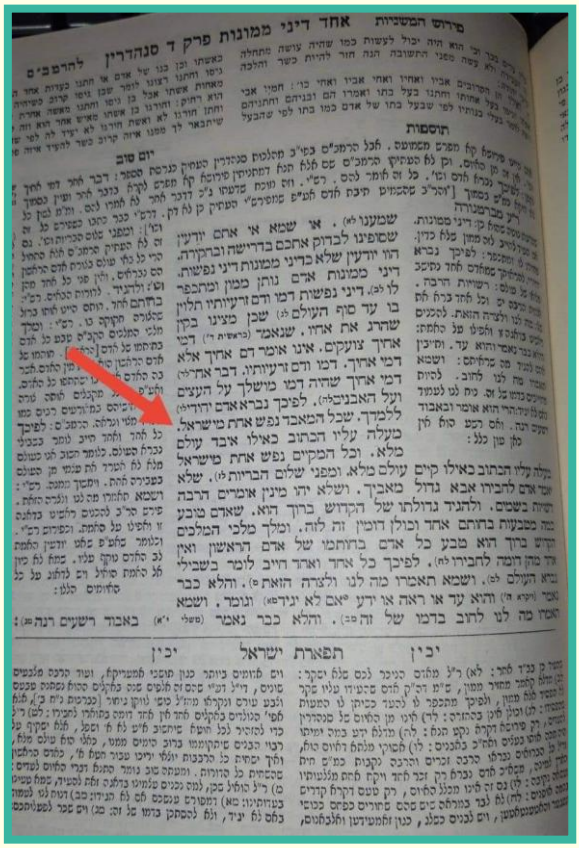

مرفق رقم (٣)

وترجمته الحرفية إلى الإنجليزية:

Therefore, humans were created singly, to teach you that whoever destroys a single soul [of Israel], Scripture accounts it as if he had destroyed a full world; and whoever saves one soul of Israel, Scripture accounts it as if she had saved a full world.

فالقرآن الكريم ما جاء موافقًا لتحريفهم، ولا مُقتبسًا منه، بل رادًا على اليهود القَباليين الباطنيين -أسلاف الصهاينة-، ومصحّحًا لهم.

إذْ ليست نُفوس الأميّين عندهم بأكرم من البهائم، فأين هذا من سموّ القرآن وتعاليمه؟!

اليهود من منظور العلامة السعدي

شدوان عبد الستار عبد الجبار

(أبو الحسن العنزي)

باحث في العلوم الإسلامية، من العراق

إن الله سبحانه جلّ في عُلاه، قد أبان السبيل الموصلَ إلى جنته ورحمته ورضاه، ولم يُعَمِّه أو يُغَمِّه بل أوضحَهُ وسهّلهُ وجَلّاه. وببيان سبيل الحق استبان سبيل الباطل لزومًا، قال الحق تعالى: {وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام ٥٥]. ومع ذلك البيان الإجمالي فقد بيّن الله سبيل الباطل أيضًا وأوضحه ليُقِيم الحجة على السالكين.

ومما قصّه الله في كتابه العزيز: حوادث الأمم السابقة وآثارها، بل أظهر الله في آياته طبائع تلك الأمم ونفسيّاتهم، كي نجتلبَ منها ما به نرتقي، ونجتنب السوء من سَننها ونتّقي. ومِن أبرز مَن قصّ الله علينا قصصهم: اليهود، وبالتتبع للآيات التي ذكر الله فيها خبرهم، نجد أنّ هؤلاء القوم أصحاب دواخل غريبة، بُنِيَتْ عليها ظواهر وأفعال عجيبة! فعانى منهم أنبياؤهم أشد المعاناة، وصبروا على صعوبة نفوسهم أشدّ الصبر!

وقد أسهم علماء الإسلام الأفذاذ في كشف وشرح وبيان حال اليهود في كتبهم ومصنفاتهم التي أضاؤوا بها العقول والقلوب. وتَميَّز بعضُ المفسِّرين بتعبيراتهم المُشرِقة التي فسَّروا بها كتاب الله عز وجل. وممّن كان له إسهام

في تفسير كتاب الله: العلّامة المفسِّر عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- (ت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)، فقد تألّق في تعبير ألفاظ الكتاب الكريم، وأضاء طريق الوصول إلى معانيه المباركة.

وقد انتقيتُ بعض الآيات المتعلقة باليهود، والتي سلّط الضوء عليها ذلكم المفسر المبارك -رحمه الله برحمته وأباحه بحبوحة جنَّت-، وأضفتُ بعد تعليقاته تبيينات على الآيات المفَسَّرة. وهذا أوان الشروع في المقصود:

١) قال الحق سبحانه: **{لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ}** [آل عمران:١٨١].

قال العلّامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

يُخبر تعالى عن قول هؤلاء المتمرّدين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم -بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء- {ذوقوا عذاب الحريق} المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه {ليس بظلام للعبيد} فإنه منزّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب.

وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا منهم "فنحاص بن عازوراء" من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا} {وأقرضوا الله قرضا حسنا} قال -على وجه التكبر والتجرهم- هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه

ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك، وهو: {قتلهم الأنبياء بغير حق} هذا القيد يراد به، أنهم تجرؤوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلًا وضلالًا، بل تمرّدًا وعنادًا[1].

ويتبين في هذه الآيات:

- جرأة يهود على الخلّاق العظيم، وسوء أدبهم معه سبحانه.

- وكبرياؤهم على ربهم، وإعلاء أنفسهم؛ جهلًا منهم بحقيقة ضعفهم ومهانتهم.

- ومن جرأتهم وسوء صنائعهم: قتلهم الأنبياء مصابيح النور ومنابع الهدى. فأي ذنب أقبح من محاولة منع الهدى عن الوصول إلى القلوب بقتل دعاته وحامليه للناس!!

- ولهذه القبائح الشنيعة توعدهم الله بعذاب الحريق، وهذا هو الجزاء العادل لمن حارب الله العظيم في أمره وشرعه.

٢) **قال سبحانه: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا} [النساء ٤٦].**

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا} أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم.

{يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} إما بتغيير اللفظ أو المعنى، أو هما جميعًا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذُكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم على أنه غير مراد بها، ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتمانهم ذلك.

فهذا حالهم في العلم أشر حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/١٥٩).

الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم {يَقُولون سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: {اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ} قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، {وَرَاعِنَا} قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ -لما كان محتملا لغير ما أرادوا من الأمور- أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظِ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: {لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ}[1].

ويتبين لنا في هذه الآيات:

- الخُلُقُ السيّئ الذي تلبّس به اليهود: وهو خلق التحريف، فهم مولعون بالتلاعب بالألفاظ والمعاني، وغارقون بحب الخداع والخديعة قولا وفعلا .. وهذا من أقبح الأخلاق وأشنعها.

- أنهم أهل صلافة وعناد ووقاحة حيث يستمعون الكلام الذي يعلمون أنه حق ويجب عليه اتباعه ويعترفون بسماعه وفهمه ورغم ذلك يصرّحون بالعصيان لله ورسوله!

- أن تلاعبهم بالألفاظ التي تحتمل معانٍ مشتركة، وحملهم إياها على محامل السوء؛ ما ذلك إلا عكسٌ لنفوسهم المريضة بالشرك والشك والنفاق.

٣) قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا * أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/١٨٠).

يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا} [النساء: ٥١-٥٤].

قال العلّامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله.

فدخل في ذلك السحر والكهانة وعبادة غير الله وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حَمَلهم الكفر والحسد على أن فضلوا طريقة الكافرين بالله -عبدة الأصنام- على طريق المؤمنين فقال: {وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا} أي: لأجلهم، تملّقًا لهم ومداهنة، وبغضًا للإيمان: {هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا} أي: طريقًا. فما أسمجهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم! كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقلَ أحد من الجهلاء، فهل يُفَضَّل دين قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين، وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال، فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلا وإما من

أعظمهم عنادًا وتمردًا ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع، ولهذا قال تعالى عنهم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ} أي: طردهم عن رحمته وأحل عليهم نقمته. {وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا} أي: يتولاه ويقوم بمصالحه ويحفظه عن المكاره، وهذا غاية الخذلان[1].

ويتبين لنا في هذه الآيات:

- أنهم يؤمنون بالباطل ويصدّون عن الحق.
- أنهم يفضّلون أهل الباطل على أهل الحق.
- أنهم تشرّبوا أمراضًا في بواطنهم كالحسد ونحوه، فصدّهم ذلك عن الصلاح والخير والحق.
- أن الله طردهم من رحمته، وألقى عليهم الخذلان بكفرهم وعنادهم ومقاصدهم الخبيثة.

٤) قال تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤].

قال العلّامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة، وعقيدتهم الفظيعة، فقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} أي: عن الخير والإحسان والبر.

{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} وهذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم.

فكانوا أبخل الناس، وأقلهم إحسانًا، وأسوأهم ظنًا بالله، وأبعدهم الله عن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/١٨٢)

رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} لا حجْر عليه، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا ويعطي فقيرا عائلا ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع فيه البر والفاجر، ويجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكاره، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجوده. وقبَّح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم.

وقوله: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام

لله بها، وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطغيان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته لها بالشبه الباطلة. {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ} ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم {أَطْفَأَهَا اللَّهُ} بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم.

{وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا} أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام. {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك[1].

ويتبين لنا من هذه الآية:

- جرأة اليهود على الرب العظيم سبحانه وتعالى وإساءتهم له، وقلة أدبهم مع ربهم، وهذا من أسوأ الطباع التي يُصبغ بها المرء.
- أن نفوسهم الخبيثة سببت لهم زيادة الكفر والطغيان بسبب ما أنزل على أهل الحق والإيمان، وهذا الداء من أخطر الأدواء، أن يكره الإنسانُ الحقَّ الذي عند خصمه، فيصده ذلك عنه ويترتب على ذلك بغض الحق الذي أنزله الله.
- أنهم يسعون دوما لإيقاد الفتن والحروب ونشر الإفساد والفساد؛ وأن الله لهم بالمرصاد كبحًا وخذلانا.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (١/١٨٢)

كلمة عن أهمّية المُقاطعة الاقتصادية وأنها مِن أنفع طرُق الجهاد

قال العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله[1]:

إنّ مِن أنفع الجهاد وأعظمه: مُقاطعة الأعداء في الصادرات والواردات، فلا يُسمح لوارداتهم وتجاراتهم، ولا تُفتح لها أسواق المسلمين، ولا يُمكَّنون من جلبها على بلاد المسلمين، بل يَستغني المسلمون بما عندهم من منتوج بلادهم، ويورّدون ما يحتاجونه من البلاد المسالمة. وكذلك لا تُصدَّر لهم منتوجات بلاد المسلمين ولا بضائعهم، وخصوصًا ما فيه تقوية للأعداء، كالبترول، فإنه **يتعيَّن** منع تصديره إليهم، وكيف يُصدَّر لهم من بلاد المسلمين ما به يستعينون على قتالهم؟! فإنّ تصديره إلى المعتدين ضرره كبير، ومنعه من أكبر الجهاد، ونفعه عظيم؛ **فجهاد الأعداء بالمقاطعة التامّة لهم من أعظم الجهاد في هذه الأوقات.**

ومِن أعظم **الخيانات** وأبلغ **المُعاداة** للمسلمين: تهريب أولي الجشع والطمع -الذين لا يهمّهم الدين ولا عزّ المسلمين ولا تقوية الأعداء- نُقودَ البلاد أو بضائعَها أو منتوجاتِها إلى بلادِ الأعداء، وهذا من أكبر الجنايات، وأفظع الخيانات، وصاحب هذا العمل ليس له عند الله نصيب ولا خلاق؛ فواجب الولاة الضرب على أيدي هؤلاء الخونة والتنكيل بهم؛ فإنهم ساعدوا أعداء الإسلام مساعدة ظاهرة، وسعوا في إضرار المسلمين ونفع أعدائهم الكافرين، **فهؤلاء مفسدون في الأرض، يستحقون أن ينزل بهم أعظم العقوبات.**

والمقصود أن مقاطعة الأعداء بالاقتصاديات والتجارات والأعمال وغيرها **ركن عظيم من أركان الجهاد**، وله النفع الأكبر **وهو جهاد سلمي، وجهاد حربي.**

وفّق الله المسلمين لكل خير وجمع كلمتهم، وألف بين قلوبهم، وجعلهم إخوانًا متحابين متناصرين، وأيَّدهم بعونه وتوفيقه وساعدَهم بمدَده وتسديده؛ إنه جواد كريم.

---

(١) انتقاها أبو الحسن العنزي مشكورًا، من رسالة "فضل الجهاد في سبيل الله" يُنظَر: مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (٢٦/١٠٦-١٠٧).

قلم محمود شاكر في الدفاع عن فلسطين

سامح عثمان

باحث في اللغة العربية والعلوم الإنسانية، من الأردنّ

كان الأستاذ محمود محمد شاكر رجلًا مجاهدًا في زمن ضَرب الذلُّ والهوانُ أطنابَه في أرضٍ لم تعرف جنباتها هذا الذلَّ قبل سقوط خلافة آل عثمان.

لقد اعتدّ شاكر بقلمه كما يعتدّ الفارسُ بحصانه وحسامه، وإني لأسمعه يقول: "إنما حَملتُ أمانةَ هذا القلم لأصدع بالحقّ جهارًا في غير جمجمة ولا إدهان. ولو عرفتُ أني أعجز عن حمل هذه الأمانة بحقّها لقذفتُ به إلى حيث يذلّ العزيز ويمتهن الكريم... وأنا جنديّ من جنود هذه العربيّة، لو عرفتُ أني سوف أحمل سيفًا أو سلاحًا أمضى من هذا القلم لكان مكاني اليوم في ساحة الوغى في **فلسطين**، ولكنّي نذرتُ على هذا القلم أن لا يكفّ عن القتال في سبيل العرَب ما استطعتُ أنْ أحملَه بين أناملي".

الحقيقة أنّ القرن الماضي عجّ بالمفكّرين والأدباء، وما كان لأحدٍ منهم طرحٌ سياسيّ وفكريّ بقوّة طرح شاكر، فإنّ الذي ميّزه شدّة اليقظة مع عدم الغرق في أوهام السياسيّين العرب، بل نجده يهزأ من ملوك العرب الذين كانوا يُحسنون الظن بـ(أمريكا والدول الأوروبية). ثم إنّ شاكرًا لم يكن وثنيًا على صورة وطنيّ، فلم ينظر للأمة يومًا إلّا على أنها جسد واحد لا يتجزّأ، ولم يتشرّب فكر (سايكس بيكو) كما هو الحال اليوم، ونعني بالأمة هنا= كيانها

بالمفهوم الشامل لها: وهو ما يتعلق بماضيها وحاضرها، ببُعديها الجغرافي والتاريخي، فالبوسنيّ المسلم لا يقلّ عند شاكر عن المسلم المصري، بل قد يكون أفضل منه إذا كان ملتزمًا بشرع ربّه وثقافة دينه.

إنّ شاكرًا قد آمن بأنّ حربنا مع الغرب الوثني المشرك عمومًا واليهود خصوصًا، لا تكون إلا في ميدانين:

الميدان الأول في الثقافة والفكر، وقد أبلى شاكر بلاءً عظيمًا في هذا الميدان من خلال المعارك التي خاضها في كتبه، وعلى رأسها كتابه العظيم: "أباطيل وأسمار"، وقد سُجن على إثره ما يقرب من أربع سنوات.

أما **الميدان الثاني** فهو في ساحات الوغى وميادين البطولات، فلا يفلّ الحديد إلا الحديد.

فنجد شاكرًا في أكتوبر من عام ١٩٤٧م كتبَ في مجلّة "**الرسالة**" مقاله العتيد: "**لا هوادة بعد اليوم**" حيث قال فيه: "لا يحلّ لعربيّ منذ اليوم أن يرفع يده عن سلاح يعده لقتال عدو قد أحاطت به جيوشه من كل ناحية. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يدع ثغرة من ثغور العِدى إلا سدها بنفسه أو ولده أو صديقه. ولا يحل لعربي أن يضع عن عاتقه عبء الكد والكدح التماسًا للراحة أو الدعة. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يتواكل ويقول لنفسه: لقد تعبت، وما يضرني أن أترك هذا لفلان فهو كافيه. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يقول: غدًا أفعل ما حقه أن يُفعل اليوم. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يخدع نفسه عن حرب دائرة الرحى بيننا وبين اليهود وأشياعهم من أمم الأرض. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يكتم الحق عن أهله أو عن عدوه، ويقول هذه سياسة وكياسة وترفّق. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يمالئ قومًا يكاشفونه بالعداوة والبغضاء ونذالة الأخلاق. ولا يحل لعربي منذ اليوم أن يَقبل من رجال السياسة تأجيل شيء من قضايا

العرب، فهي كلٌّ مترابطٌ لا ينفكّ منها شيءٌ عن شيء".

وهذه الفقرة تُدلِّل على كلّ ما كنتُ قد قلتُه قُبيل قليل مِن أنّ السِّمة الغالبة على شاكر هي تلك اللُّغة السامقة الحادّة، خصوصًا إذا ما تعلّق الأمر **بقضايا الأمّة المركزية**.

إنّ قضية فلسطين تحديدًا كان شاكر يسمّيها: (أمّ المشاكل العربية)، والحقُّ أنّه أصابَ في هذه التسمية؛ إذ إنّ الذي حصل في فلسطين على وجه الخصوص= هو زرعٌ لجرثومة أوروبية في فؤاد العالَم العربي، مما سهّل على الغرب حربهم الصهيوصليبية على أمّتنا.

يقول شاكر في المقالة نفسها: "عرَف كلُّ عربيّ وكلُّ مسلمٍ ما صارتْ إليه قضيةُ فلسطين في الجمعية العموميّة لهيئة الأمم المتحدة، فهل بقيَ بعدَ هذا مجالٌ لناظِر حتّى يقول: سوف أحتال بالسياسة حتى أنال ما هو حقٌّ لي؟! إنّ بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التي تدير لهما الساقية، قد كشفت عن طواياها بما لا يعد لأحد علّة يتعلل بها أو يتشبّث، فقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأنهم عدوٌّ لنا وحرب علينا، وأنهم يبغون أن يحطموا هذا الجيل العربي، وأن يسلطوا على رقابه أنذال اليهود وأوباش الاستعمار، وأنهم يعتقدون أننا قوم لا نصلح لأن نَحكم أنفسنا بأنفسنا، أو أننا أمم قُصّر لم نبلغ رشدنا ولا يُظَن لنا بلوغ الرشد".

أمّا سبب هذه العداوة لنا فإنّ شاكرًا يقول بكلّ صوتٍ مرتفع: (هي الحرب بين أهل الصليب وأهل الإسلام)، حيث قال في المقالة نفسها: "وسِرُّ هذه العداوة -ولا نَكتُم الحقّ- هو أن أوروبا وأمريكا جميعًا لا يزالون يعيشون في أنفسهم إذا ذُكر العرب في أحقادٍ صليبية، لم تَستطع المدنيّة، ولا استطاع العِلْم، ولا استطاعت سهولة المواصلات، ولا استطاعت كثرةُ الهجرة والرحلة، أنْ تَنفيَها عن قلوبهم، بل لعلّها زادتهم أضغانًا على أضغان، ولا

تزال أوروبا وأمريكا تقول: خطرُ الإسلام وخطرُ العرب، كما كانوا يقولون الخطرُ الأصفر والخطرُ الآسيويّ".

ثم سأل شاكرُ الحمقى الذين يظنون أنّ أمريكا ستعطف على العرب أو ستستمع إلى شكواهم استماع الرجل الحكيم الحازم، فقال: "وكيف تعطف أمريكا وهي التي تمدّ اليهود بالمال والقوة والسلاح والدعاية؟ وكيف وهي التي تبيح لشركات النّشر والإذاعة والصحافة أن تدلّس وتكذب وتخدع في شأن العرب، ولا تَجد مُنكِرًا يُنكِر ولا لسانًا يدافِع، ولا قلمًا يشمئز من هذه الوسائل التي تطفَح بالغدر والبغي والنذالة؟! إنهم جميعًا يظاهِرون علينا اليهود ويظاهِرون علينا الاستعمار، ويفعلون ذلك علانية لا يستخفون، ففيمَ نحتال نحن بالمداورة أحيانًا خشية أن نثير علينا هؤلاء المُظاهرين، ومَخافة أن نُرمى بالتعصّب؟ فيمَ نخاف ونحن في معمعة هذه الحرب التي تشنّها علينا بريطانيا وأمريكا بالاستعمار وباليَهود؟ ولِمَ نخاف أنْ نتعصّب لحريّتنا واليهودُ يتعصّبون لعُدوانهم جَهارًا؟".

فالواجب علينا أن نتمسَّك بحقوقنا، وألا نجامِل فيها، ولا ندّعي السياسة والكياسة على حسابها "فَمِن حقّ البلاد العربية أنْ تفعل ذلك ولا تبالي بنقد منتقد، ولا هجوم متهجّم، ولا إقذاع مبطل، ولا سفاهة مدخول السريرة خبيث الطوية. كلّا إنّه ليس حقًّا لها وحسْب، بل هو فَرْض لا مَناص مِن أدائه، والقيام به، وحياطته كل الحياطة. إنّ هذه اليهود وهذه الأجانب هي ذرائع الاستعمار، وهي أداة البطش التي سلّطها الاستعمار على رقابنا".

ومِن المُلاحَظ أنّ الأدوات الاستعمارية التي فرضَها الغربُ ما زالت قائمةً إلى وقتنا هذا، وأنّ حقوق الإنسان والمرأة والطفل والحيوان التي يتغنّى الغربُ بها بوصفه الأبَ الروحيَّ لحركات التحرُّر والحداثة الحضارية ما هي إلا أكذوبة= انطلت على الغوغاء من الأمّة، ولا حقيقة لها في ظِل المَجازر الحاصلة

اليوم في فلسطين عامة وفي غزّة خاصة، ولا وجود لهذه الأخلاق العالية إلا في الحاضرة الإسلامية "فإنّ العرَب قد عاشوا على ظهر هذه الأرض أكثر من ثلاثة عشر قرنًا فكانوا أمةً وسطًا لم تَظلم ولم تَضطهد، بل نصرَت المظلوم وآوت المضطهد، ورفعَت النير عن رقاب الأمم مجوسها ونصاراها ويهودها، حتى جاء أمرُ الله وذهبَت ريحهم وغلَبت عليهم الأمم".

وأختِمُ بوصية محمود شاكر، وهو يُؤكّد على أنّ هدف الغرب واحدٌ لا يتجزّأ، وأنّ الكيان المحتلّ لا يَعدو أن يكون أداةً استعماريّة لبريطانيا وأمريكا، ومَن يدعمها أكثر يكُن حظّه مِن نفوذها أكبر، وأنا ليس لي كلامٌ في حضرة أساطين الفكر والعِلم إلّا أنْ أنقُل كلامَهم لقومي لعلّهم يفقَهون شيئًا عن أئمة الأدب والفكر، فقد ختم شاكر مقالَه الملتِهب بنار الحقّ والغيظ على أهل الباطل قائلًا:

"**إنها الحرب المُبيرة أيّها العرب**، فلا تكن اليهود التي ضرب الله عليها الذل والمسكنة والتشرد في جنبات الأرض، أحمَى منكم أنوفًا، وأشدّ منكم حفاظًا، وأقوى منكم حميّة، وأجرأ منكم قلوبًا، ولا يهود أيها العرب أشدّ محافظة على باطلهم منكم على حقّكم. واعْلموا أيّها العرب أنّ الذي بيننا وبين اليهود والذي بيننا وبين الاستعمار دمٌ لا تطير رغوته ولا ينام ثائره، وقد جدّت الحرب بِكم فجِدّوا يا أبناء إسماعيل ويا بقيّة الحنيف إبراهيم، ولا يهولنّكم مال اليهود، ولا بطش بريطانيا، ولا مخرقة أمريكا، **فإنّ الحقَّ لله، وكلمةُ الله هي العُليا**".

عمر سيف:
سيف اليمَن الذي لم يُغمَد في نصرة فلسطين

د. خالـد بُـرَيـه

كاتب وباحث يمانيّ، مشرف موقع حكمة يمانية المَعرفيّ

فضيلة العلامة عمر أحمد سيف (١٩٢٧- ٢٠٠٥م)، أحد أعلامِ اليمَن، كانَ الرَّجلُ نسيج وحده، وكانَ تاريخًا يكتبه التَّاريخ، ومعنىً يأخذ أوّله بآخره؛ فلا ترى فيه إلا صورةً من نفسٍ أبيةٍ أكرمت العِلم فأكرمها العِلم، لا أذكرُ أنَّ الزَّمن يجودُ بمثله، فقد قَدِمَ ليكونَ مضْرِبًا للمثل، نموذجًا يعسُر تَكْراره، صنَعَهُ الله على عينه، وهيَّأه ليكونَ جَبَلًا من جبالِ العلمِ والدَّعوة والجهاد. عرفَتْه ساحاتُ الوغى، والميادين العامَّة، ومجالسُ السِّياسة، وأقبية السُّجون، وعرفَتْه خطيبًا لا يُشَقُّ له قناة، صدَّاعًا بالحقِّ، محبًّا لأمَّته، مشْتبِكًا مع قضاياها الكبرى.

لقد مَنَّ الله علينا وحضرنا له عشراتِ الدروس والخطب، كانَ الواحدُ منَّا يخرجُ منها معتـزًّا بدينه، شامخًا بعروبته. كانَ محاربًا للطُّغيانِ بشتى صوره ومعانيه، لا يرى في الغربِ إلا بقعةً دَنِسَة علت بالماديَّة، والقهر، والقوة، لا سبيلَ معها إلا بالمدافعةِ، وتلكَ سنَّة الله التي لا محيدَ عنها.

المهموم العابر للحدود:

لم يكن يحده فضاء، بل تعانقُ روحه قضايا أمته الكبرى، دونَ أن ينسى موطنه الذي نشأ فيه. كان يعلِّم، ويحتسب، ويبذلُ جاهه، ويقفُ في وجهِ السَّاسة بالحق، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم. ومن مواقفه أنه أبدى رأيه بقوةٍ وحزمٍ في قضيةِ إقرار دستور دولة الوحدة عام ١٩٩٠م، وموقفه من حربِ الانفصال عام ١٩٩٤م، إضافةً إلى مواقفهِ المشرِّفة المتعلقة بحياةِ النَّاسِ ومعاشهم.

لم تُنْسِه هموم **وطنه** قضايا أمّته المصيرية، فقد شارَكَ إخوانه الجهاد في **الأفغان**، وعندما هاجَمَ الصِّرب البوسنة والهرسك، صالَ وجالَ في كلِّ ربوعِ اليمن، وأطلقَ مع إخوانه من العلماء حملاتٍ لدعمِ **البوسنة** والوقوف معهم ونصرتهم، ثمَّ ترأسَ الوفد اليمني لإيصال مساعدات أبناء اليمن إلى المسلمين في بلادِ البوسنة والهرسك مطلع تسعينات القرنِ المنصرم، وعندما غزت أمريكا **العراق** كانَ للشَّيخ موقفًا مشهودًا ضجَّت المنابر من هدير صوته، كانَ نِعْمَ المعين والنَّاصر للعراقِ، سليل المجدِ والمكارم.

قضية فلسطين في وجدان سيفِ اليمن:

لا أعرفُ قضيةً استولت على وجدان شيخنا العلامة عمر أحمد سيف مثل **قضية فلسطين**، نصرها بكلِّ ما أوتي من طاقةٍ وجهد، ما تركَ موطنًا إلا ونصرها فيه، كانت خطبه المنبرية عن غزَّة وفلسطين مما يُفاخِر به الزَّمان، كانَ أبيًّا شجاعًا لا يخشى شيئًا، صوته كأنَّه منذر حرب، يخاطِبُ العالمَ من فوقِ منبره بكلِّ شموخٍ وعنفوان: "أنا عمر بن أحمد بن سيف من أهلِ اليمن، إن كانَ حرب الصَّهاينة إرهابًا فإني أكبر

إرهابيٍّ في العالَم، أطلقوا عليَّ صواريخكم، فإنِّي في شوقٍ للقاءِ الله".

ولم يكتفِ سيف بالكلام تعليمًا وتعريفًا بتاريخِ القضيَّة ومكانتها المركزيَّة في وجدانِ المسلم، بل تعدّى إلى الفعل، فلم يترك محفلًا أو تجمُّعًا أو مناسبة إلا وجمَعَ فيه إعانة لإخوانه في فلسطين، لم يكن يسميها تبرعًا، بل جهادًا ماليًّا لنصرةِ الرِّجال في أرضِ الرِّباط. لذلك، فقد كانَ قدوة يُحتذى به، إذ تبرَّعَ بمنـزله لأهلِ فلسطين، ولمّا لم يبقَ له منـزل آخر، مُنِحَ بيتًا من قِبَل محبّيه، فتبرَّعَ بهِ، وكذا فعلَ مِرارًا، حتى طُلِبَ منه أن يتركَ شيئًا لِبَنيه، فقالَ قولته المشهورة: "إنَّ بيني وبينَ الله عهدًا أنْ أموتَ وألقاهُ وليسَ لي في الدُّنيا منزلٌ ولا مال".

لا أبالغُ إنْ قلتُ إنَّ الشَّيخ عمر أحمد سيف رَسَّخَ قضية فلسطين، وعزَّزَ حضورها في قلوب النَّاس، فعاشت في ضمائرهم. كانت تمثِّلُ له إحدى القضايا المركزيَّة التي لا ينبغي نسيانها ولا التَّهاون فيها.

ومما قاله في إحدى رسائله التي أرسلها لأهلِ الرِّباط في فلسطين: "أوصي إخواني المجاهدين، إنكم على ثغرٍ من ثغورِ الإسلامِ العظيمة، تُحيونَ فريضةَ الإسلام الجليلة التي أضاعها كل النَّاس أو جُلّهم؛ لما أصابهم من الوَهَنِ الذي هو حبُّ الدُّنيا وكراهية الموت، إنهم لم يتركوا الجهادَ لقلةِ عددهم أو لقلةِ عدتهم، إنَّ لهم من العددِ الكثير ومن العُدَّة ما لا يُعدُّ ولا يحصى، ولكنَّ العلَّة كما قالَ النَّبي ﷺ: (أنتم يومئذٍ كثير، ولكنَّكم غثاء كغثاء السَّيل أصابكم الوهَن)، إنَّ ما قمتم به من هذه الفريضة هو من أفضلِ الأعمالِ على الإطلاق، فالجهادُ أفضلُ الأعمال على

الإطلاق بنصِّ حديث النَّبي ﷺ، والمجاهد في سبيلِ الله هو أفضل الأمَّة على الإطلاق، لقول النَّبي ﷺ: (خَير النّاس رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرسِهِ في سبيلِ اللهِ، يَطيرُ على مَتنِهِ كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً أو فَزعَةً، طَارَ عَليه يَبْتَغِي القَتْلَ، أو المَوتَ مَظانَّه). واعلموا أنَّ الجهاد ماضٍ حتى تقوم السَّاعة، سيروا قُدُمًا باسم الله، وأبشروا، إمَّا النَّصر وإمَّا الجنَّة، واعلموا أنَّ الموتَ لا يقدمه شجاعة الشُّجعان ولا يؤخره جبنُ الجبناء".

ولهُ كلامٌ عن الشَّهادة والجهاد وأرض الرباط يقطرُ إيمانًا ويقينًا وقوة.

وملاكُ الأمر: لم تكن فلسطين في وجدان الشَّيخ عمر بن أحمد سيف مجرد أرضٍ محتلة، بل هي جزء لا يتجزَّأ من عقيدةِ الأمَّة، تتصلُ بروحها الإسلاميَّة عبرَ المسجدِ الأقصى، أولى القبلتين. وطريق تحريرها لا يمرُّ إلا عبر وحدةِ الصُّفوف وتلاحم الأمَّة.

كما أكد دومًا أنَّ **التَّطبيع مع الكيان المحتل خيانة** صريحة لقضيةِ فلسطين، وتفريط في حقِّ الأمَّة المقدَّس. ولذا، ظلَّ يدعو بلا هوادة إلى الجهادِ باعتباره الفريضة الشَّرعية التي لا بديلَ عنها، وعمود النِّضال لتحريرِ الأرض المغتَصَبة. كما لم يغفل عن بناءِ وعيِ الأمَّة، فكان يبثُّ روح المقاومة في الأجيال، ويغرسُ فيهم مكانةَ القدس وقضيته العادلة. ويردِّدُ دومًا أنَّ فلسطين عنوان لوحدةِ الأمَّة وسرّ قوتها، قضية سامية لا تقبلُ التَّنازل ولا المساومة، بل يجبُ أن تبقى محورًا لمقاومة كل أشكال التَّفريطِ والخضوع.

وترجل السَّيف عمر:

جاوزَ الثَّمانين من عمره وقد قضى حياته دفاعًا عن الحق، ونصرة قضايا أمته، لا سيما قضية فلسطين، ثمَّ طافَ

به طائفُ الموت، وترجَّلَ الفارس، ورحَلَ العالِمُ العامِلُ المجاهد، وصُلِيَّ عليه في جامِعِه بمدينةِ الحُدَيدة، وقدِمَ النَّاسُ لتشييعه من كلِّ مكان، وكانَ يومًا مشهودًا من أيَّامِ المدينةِ الخالدة.

وقد بكاه الصَّغير والكبير، وما زلتُ أذكر خطبةَ الجمعة المشهودة التي خطَبَها العلامة محمَّد علي عجلان عنه، فقد ألقى خطبةً عصماء ذرفت منها العين، وأطرقَ لها القلب، وفاضَ بها الحنين والذِّكرى. ولما عَدَّدَ خصاله ومناقبه الجليلة، قال: "**إنَّ الأمَّة الإسلامية وفلسطين بالذَّات أُصيبت بنكبةٍ في موتِ هذا العالِمِ المجاهد**"، وما خصَّ فلسطين في هذا المقام إلا لمكانتها في وجدانِ الشَّيخ ومقامها الرَّفيع في كلِّ مراحلِ حياته.

وقد نعاهُ العلامة يوسف القرضاوي -رحِمَهُ الله- وأشادَ به، فكانَ مما قاله: "كانَ رجلًا حُرًّا مخلصًا شجاعًا في الحقّ، لا يخشى في اللهِ لومة لائم ولا نقمة ناقم، كانَ يقِظًا كأنّما هو سيفٌ سلَّهُ الله على الباطل، سلَّهُ الله للدِّفاع عن حوزةِ هذا الدِّين وعن حُرماته، يقولُ الحقَّ وينطقُ بالصِّدق، لا يتلكّأ ولا يتعثَّرُ ولا يتردَّد".

ولو قُدِّرَ للعلامة أحمد عمر سيف أن يشهد الطُّوفان في السَّابع من أكتوبر لكانَ من أسعدِ النَّاس به، وأكثرهم تأييدًا له، فقد كانَ مَشوقًا إلى نصرةِ أمته، ودحر عدوها، والإعلاء من شأن الدِّين والحق. رحمة الله عليه وطيَّبَ اللهُ ثَرَاه.

حُكم (الجهاد) في عصر الحاضر
في رأي المفتي عبد العزيز بن باز

ليث بن أمين العلواني

باحث في الحديث النبوي وعلومه، من العراق

إنّ مما جاء في وصف العالِم المؤهَّل للفتوى في مسائل الجهاد وأحاكمه: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله وطيَّب ثراه-: (الواجبُ أنْ يُعتبَر في أمورِ الجهاد: **برأي أهل الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا**، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين: فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا).

وإنّ مِن خيرة مَن يدخل في وصفه هذا ممن يُرجَع إليهم في أمور الجهاد والنوازل عمومًا في عصرنا هذا: هـو العلامة المجتهد الفقيه المحدِّث المفتي بقية السلف وخيرة الخلف: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله وطيَّب ثراه- (١٣٣٠-١٤٢٠هـ/ ١٩١٢-١٩٩٩م)، مفتي عام المملكة السعودية، ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء، ورئيس هيئة كبار العلماء.

وانطلاقًا مما تقدّم، أحبُّ أنْ أبيّنَ لبعض إخواننا ومشايخنا رأيَ الشيخ، أو أذكِّرَهم بقوله وفتواه في **ثلاث مسائل كبيرة متعلّقة بأحكام الجهاد (أي: قِتال العدوّ) في عصرنا الحاضر**:

المسألة الأولى:

وصف حال الأمة الإسلامية عمومًا من حيث القوة المادية والإيمانية، وما الواجب في حقهم من القيام بفريضة الجهاد في عصرنا:

قال الشيخ في "مجموع فتاويه" (١٩٧/٣): (تختلف الأحوال بقوة المسلمين وضعفهم:

١. فإذا ضعف المسلمون جاهدوا بحسب حالهم.

٢. وإذا عجزوا عن ذلك اكتفوا بالدعـوة.

٣. وإذا قووا بعض القوة: قاتلوا مَن بدأهم ومَن قرُب منهم، وكفّوا عمّن كفّ عنهم.

٤. وإذا قووا وصار لهم السلطان والغلبة، قاتلوا الجميع وجاهدوا الجميع حتى يُسْلموا، أو يؤدّوا الجزية، إلا مَن لا تؤخذ منهم كالعرب).

وجاء في "مسائله" لعبد الله بن مانع (ص١٦٨-١٦٩): (قال شيخنا -يعني ابن باز-: سمّى بعضُهم مراحل التشريع في الجهاد نسخًا. أوّلًا: الكفّ... إلخ. وقال بعضُهم: ليس ذلك بِنَسْخ: فإن كانوا ضعفاء كفّوا، وإن قووا قاتَلوا، وهو الصواب. وقال شيخُنا أيضًا: مراحل تشريع القتال: ١. الإذن بالقتال. ٢. قتال مَن قاتلهم. ٣. قتال دفْع وطلَب، أي: ابتداء. **وحالة المسلمين الآن تشبه الحال الوسطى: إن قُوتلوا رَدّوا.** أو دَفعوا القتال بما يَصلح. والحال الآن فيها ضعفٌ في القوة وفي الإيمان. والله المستعان).

فخُلاصة رأيه بحسب نَصّ كلامه:

١. أنّ حالة المسلمين اليوم هي الحال الوسطى، وهي المرحلة الثانية من مراحل تشريع الجهاد، وهي: وُجوب مقاتَلة مَن يقاتِلنا.

٢. أنّ حال الأمة الإسلامية المادية فيها

قوة تؤهّلها لقتال الدفع، وكذلك في الإيمانية، لكنْ وُصفت قوّتها بالضعف، وهي نظير قوله: (وإذا قووا بعض القوة؛ قاتلوا مَن بدأهم ومَن قرب منهم، وكفّوا عمّن كفّ عنهم). فقوله "بعض قوة" هو كقوله "ضعفٌ في القوة" وليس حالتنا حالة "العجز" أو الضعف التام الذي يَسقط به الوجوب.

المسألة الثانية:

حُكم قتال اليهود المُحتلّين لفلسطين:

قال في "مجموع فتاويه" (٢٤٥/١٨): (اليهود لهم حالة أخرى: اعتدوا على أرض فلسطين. **والواجب على المسلمين**: ١. جهادهم حتى يَخرجوهم من بلاد المسلمين، ٢. وحتى يَنتصر إخواننا الفلسطينيون عليهم، ٣. ويُقيموا دولتهم الإسلامية على أرضهم، ٤. وهذا لا شك في وجوبه على الدول الإسلامية حسب الطاقة).

وقال أيضًا في (٢٤٦/١٨): (وبِمَا ذكرْنا يُعلم أنّ اليهود لهم شأن آخَر، **وقتالهم واجبٌ مستقلّ**).

بل وصفَ حالَنا في (٢٤٦/١٨) بـ(تقصير المسلمين في الجهاد مع الفلسطينيين ضدّ اليهود).

وقال في (٤٠/٦): (وهكذا إخواننا في فلسطين **لهم حق على جميع الدول الإسلامية** وأغنياء المسلمين: ١. أن يساعدوهم في جهادهم. ٢. وأن يقوموا معهم حتى يتخلصوا من عدو الله اليهود).

وقال أيضًا في (١٢٣/٢٧-١٢٤): **(فالواجب على الدول الإسلامية، وعلى جميع المُسلمين القادرين**: أن يساعدوهم في جهاد أعداء الله من اليهود، حتى يحكم الله بينهم وبين

المسلمين وهو خير الحاكمين، وذلك بنصر الله لهم على اليهود، وإخراجهم من بلاد المسلمين. أو الصلح بينهم وبين دولة فلسطين **صُلحًا ينفع المسلمين** ١. ويحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم وقرارهم في بلادهم، ٢. وسلامتهم من الأذى والظلم؛ فيجب على الدول الإسلامية أن تقوم بهذا الأمر حسب الطاقة والإمكان.

وأما بقاؤهم في حرب مع اليهود، وفي أذى عظيم وضرر كبير على رجالهم ونسائهم وأطفالهم: فهذا لا يسوغ شرعًا، بل يجب على الدول الإسلامية والأغنياء والمسؤولين من المسلمين: أن يبذلوا جهودهم ووسعهم في جهاد أعداء الله اليهود أو فيما يتيسر من الصلح إن لم يتيسر الجهاد -**صلحًا عادلًا**-: يحصل به للفلسطينيين إقامة دولتهم على أرضهم وسلامتهم من الأذى من عدو الله اليهود، مثلما صَالَح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة. وأهل مكة ذلك الوقت أكفر من اليهود؛ لأن المشركين الوثنيين أكفر من أهل الكتاب).

وقال أيضًا (٤/٢٩٦) و(١٨/٤١٧-٤١٨): (ولأنهم مظلومون؛ فالواجب على إخوانهم المسلمين: نصرهم، فمن ظلمهم؛ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. قالوا: يا رسول الله: "انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"؟ قال: "نصرته مظلومًا". والأحاديث في وجوب الجهاد في سبيل الله ونصر المظلوم وردع الظالم كثيرة جدًا). (فنسأل الله أن ينصر إخواننا المجاهدين في سبيل الله في فلسطين وفي غيرها على عدوهم، وأن يجمع كلمتهم على الحق، وأن يوفق المسلمين جميعًا لمساعدتهم والوقوف في صفهم ضد عدوهم، وأن يخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وينزل بهم بأسه

الذي لا رَدّ له على القوم المجرمين، إنه سميع قريب).

المسألة الثالثة:

بيان حال المقاتلين من المسلمين في فلسطين، ووصفه لهم بالمجاهدين في سبيل الله، وبيان الواجب تجاههم:

قال في "مجموع فتاويه" (٤/٢٩٥) و(١٨/٤١٦): (لقد ثبت لدينا بشهادة العدول الثقات: ١. أنّ الانتفاضة الفلسطينية والقائمين بها من خواص المسلمين هناك. ٢. وأن جهادهم إسلامي: * لأنهم مظلومون من اليهود. * ولأن الواجب عليهم الدفاع عن دينهم وأنفسهم وأهليهم وأولادهم. * وإخراج عدوهم من أرضهم بكل ما استطاعوا من قوة. وقد أخبرَنا الثقات الذين خالطوهم في جهادهم وشاركوهم في ذلك عن: حماسهم الإسلامي، وحرصهم على تطبيق الشريعة الإسلامية فيما بينهم. فالواجب على الدول الإسلامية وعلى بقية المسلمين: تأييدهم ودعمهم؛ ليتخلصوا من عدوهم، وليرجعوا إلى بلادهم).

وقال أيضًا (١٨/٤١٠): (والمجاهدون في داخل فلسطين -وفقهم الله جميعًا- يعانون مشكلات عظيمة في جهادهم لأعداء الإسلام، فيصبرون عليها رغم أن عدوهم وعدو الدين الإسلامي يضربهم بقوته وأسلحته، وبكل ما يستطيع من صنوف الدمار! وهم بحمد الله: **صامدون وصابرون على مواصلة الجهاد في سبيل الله** كما تحدث عنهم الأخبار والصحّف، ومَن شاركهم في الجهاد من الثقات: لم يضعفوا ولم تلن شكيمتهم. ولكنهم في أشد الضرورة إلى: **دعم إخوانهم المسلمين ومساعدتهم بالنفوس والأموال في قتال عدوهم عدو الإسلام والمسلمين، وتطهير بلادهم من رجس الكفرة وأذنابهم من اليهود.**

وقد منَّ الله عليهم: بالاجتماع وجمع الشمل على التصميم في مواصلة الجهاد. فالواجب على إخوانهم المسلمين الحكام والأثرياء: أن يدعموهم ويعينوهم ويشدّوا أزرهم؛ حتى يُكمِلوا مسيرة الجهاد، ويفوزوا إن شاء الله بالنصر المؤزر على أعدائهم أعداء الإسلام. وإني أهيب بجميع إخواني المسلمين من رؤساء الحكومات الإسلامية وغيرهم من الأثرياء في كل مكان: بأَن يقدّموا لإخوانهم المجاهدين في فلسطين، مما آتاهم الله من فضله، ومن الزكاة التي فرضها الله في أموالهم، حقًا لمن حدّدهم الله -جل وعلا- في سورة التوبة وهم ثمانية: قد دخل إخواننا المجاهدون في فلسطين من ضمنهم).

وقال -أيضًا- (١٨/٤١٣): (وإخوانكم المجاهدون في داخل فلسطين أيها المسلمون يقاسون آلام الجوع والجراح والقتل والتشريد! فهم في: ١. أشدّ الضرورة إلى الكساء والطعام، وفي أشدّ الضرورة إلى الدواء. ٢. كما أنهم في أشدّ الضرورة إلى السلاح الذي يقاتلون به أعداء الله وأعداءهم. فجُودوا عليهم أيها المسلمون مما أعطاكم الله واعطفوا عليهم؛ يبارك الله لكم ويخلف عليكم ويضاعف لكم الأجور).

وقال أيضًا (١٨/٤١٤-٤١٥): (ونسأل الله عز وجل أن يضاعف أجر مَن ساهم في مساعدة إخوانه المجاهدين، ويتقبّل منه، وأن يعين المجاهدين في فلسطين وسائر المجاهدين في سبيله في كل مكان، على كل خير، ويثبت أقدامهم في جهادهم، ويمنحهم الفقه في الدين والصدق والإخلاص وأن ينصرهم على أعداء الإسلام أينما كانوا إنه ولي ذلك والقادر عليه).

ونختمُ بقولٍ جامعٍ للشيخ يلمُّ شعَث ما تقدَّم مِن بيانِ الحقيقةِ والواجبِ:

قال في "مجموع فتاويه" (٢٧٧/١):

(إن المسلم لَيألم كثيرًا ويأسف جدًا من تدهور القضية الفلسطينية من وضع سيِّئ إلى وضع أسوأ منه، وتزداد تعقيدًا مع الأيام، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في الآونة الأخيرة، بسبب:

١. اختلاف الدول المجاورة، وعدم صمودها صفًا واحدًا ضد عدّوها.

٢. وعدم التزامها بحكم الإسلام الذي علّق الله عليه النصر، ووعد أهله بالاستخلاف والتمكين في الأرض.

وذلك يُنذر بالخطر العظيم، والعاقبة الوخيمة: إذا لم تُسارع الدول المجاورة إلى توحيد صفوفها من جديد، والتزام حُكم الإسلام تجاه هذه القضية، التي تهمهم وتهمّ العالم الإسلامي كله.

ومما تجدُر الإشارة إليه في هذا الصدد: أنّ القضية الفلسطينية قضية إسلامية أوّلًا وآخرًا. ولكنّ أعداء الإسلام بذلوا جهودًا جبّارة لإبعادها عن الخط الإسلامي، وإفهام المسلمين من غير العرب أنها قضية عربية، لا شأن لغير العرب بها! ويبدو أنهم نجحوا إلى حدٍّ ما في ذلك! ولذا فإنني أرى أنه لا يمكن الوصول إلى حلٍّ لتلك القضية إلا:

١. باعتبار القضية إسلامية.

٢. وبالتكاتف بين المسلمين لإنقاذها.

٣. وجهاد اليهود جهادًا إسلاميًا.

حتى تعود الأرض إلى أهلها، وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاؤوا منها، ويبقى اليهود الأصليون في بلادهم، تحت حكم الإسلام، لا حكم الشيوعية ولا العلمانية. وبذلك ينتصر الحق، ويخذل الباطل، ويعود أهل الأرض إلى أرضهم على حكم الإسلام، لا على حكم غيره. والله الموفق).

ابن عثيمين وقضية فلسطين

ليث بن أمين العلواني

باحث في الحديث النبوي وعلومه، من العراق

هذه بعضٌ من كلماتٍ وتعليقاتٍ، ونقداتٍ وتوجيهاتٍ، وتحذيرات وبيانات، وقفتُ عليها من كلام الشيخ العالم الفقيه محمد بن صالح بن عثيمين (١٣٤٧-١٤٢١هـ/ ١٩٢٩-٢٠٠١م) -رحمه الله تعالى-، أحببتُ أن أشارك إخواني فائدتها والتأمل فيها والاستفادة منها.

وهي تَكشف عن جانبٍ مهم يغيب عن كثير من المنتسبين إلى دعوته، وفي الوقت نفسه تفتح المجال لكل باحث نهمٍ مهتمّ بتراث الشيخ ابن عثيمين، أن يشمّر ساعده ويطيل بحثه ويوسع رصده، بضم النظير إلى النظير مع التنظيم والترتيب ومعرفة المتقدّم والمتأخر من تقريراته وفتاويه، للكتابة حول هذا الشأن، ولعله يكون بعنوان: (ابن عثيمين والقضية الفلسطينية: مواقف ومسائل وفتاوى ودلائل). والدال على الخير كفاعله.

أمّا هنا فأذكُر طرفًا مما أشرتُ إليه ووقفتُ عليه:

أولاً: قال الشيخ في "الشرح الممتع" (١٤/٣٦-٣٧) حول حكم اليهود المحتلّين لفلسطين وتصنيفهم الشرعي: (الحربي هو الكافر الذي بيننا وبينه حرب، وليس بيننا وبينه عهد، مثل

اليهود الذين احتلوا فلسطين= فهؤلاء ليس بيننا وبينهم عهد. فإن قال قائل: إن بيننا وبينهم عهدًا، وهو العهد العام في هيئة الأمم المتَّحدة! فنقول: هم نقضوا العهد؛ لأنهم يعتدون علينا).

ثانيًا: قال الشيخ في "الشرح الممتع" (٢٤٥١/١) -المفرغ صوتيًا- مشيرًا وناقدًا لفتوى (الصلح مع اليهود المحتلين لفلسطين) -التي أفتى بها الشيخ ابن باز رحمهما الله وطيب ثراهما-: (الصلح مع الكفار على سبيل الإطلاق هو معناه: إسقاط الجهاد في سبيل الله! لكن الأمر ليس بأيدينا! **وبعض العلماء اشتبه عليهم الأمر في أن الرسول صالح اليهود أوّل ما قدم المدينة، بدون شرط وبدون قيد-صلحًا مطلقًا!** والذي استدل بهذا ليس حاضرًا عندي حتى يمكن أن آخذ معه وأردّ! لكن ظني أن هناك فرقًا:

١- بين شخصٍ يقدم إلى بلد الكفار ويصالحهم -لأن المدينة كان فيها كثير من اليهود ثلاث قبائل من اليهود- ويصالحهم على ما جرى عليه الصلح.

٢- وبين إنسانٍ هو في بلدٍ والكفارُ في بلدٍ آخَـر).

ثالثًا: قال -أيضًا- (٢٤٤٧/١) كاشفًا للخطر ومعلّقًا على ما عُرف بـ(مؤتمر مدريد للسلام: ١٩٩١م) تمهيدًا لِمَا ظاهرُه (السلام مع إسرائيل) وباطنه (الاعتراف بدولتهم والتطبيع معهم)-: (لكنَّ أخطرَ شيءٍ في هذا هو أنه لو حصَل تبادل -كما يقولون- دبلوماسي وثقافي واقتصادي؛ حينئذ يَكْمُن الخطر! ويُنْظَر إلى مدى عقل أو عقول هؤلاء العرب! هل سيمكَّنون من هذا أو لا يمكَّنون؟! هذا هو الخطر!!).

رابعًا: وفي (٤١٩٨/١) سُئل عن هجرة الفلسطينيين: (هل يلزمهم الهجرة كما فعل النبي ﷺ هاجر من

مكة إلى المدينة؟).

أجاب الشيخ: (لا! هُم لو يَتركونَ هذا ما أقاموا دينَهم، المساجدُ الآن مفتوحة والأذان يقام، ما هو مثل مكة).

خامسًا: في "مجموع فتاويه" (٣٢٤/٢٥) سئل عن قتال الفلسطينيين لليهود هل هو جهاد شرعي؟

أجاب الشيخ: (لا يمكن أن نحكم على شخصٍ أو طائفة بأن جهاده شرعي أو غير شرعي: حتى يوزن ذلك بالميزان الذي جاء به الكتاب والسنة.

وذلك:

١-بأن يكون الجهاد في مَحلِّه: بأن يكون المجاهَد -بفتح الهاء- ممن أمر الله بجهاده.

٢-وأن تكون نية المجاهِد -بكسر الهاء- خالصةً لله تعالى: بحيث يريد بجهاده أن تكون كلمة الله هي العليا.

وقد سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتلُ شجاعةً، ويقاتل حَمِيَّةً ويقاتل ليُرَى مكانُه، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتَلَ لِتكونَ كلمةُ الله هي العُلْيا، فهو في سبيلِ الله». هذا هو الجهادُ الشرعي الذي جعل الله له نصيبًا من الزكاة في قوله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}).

سادسًا: قال في "اللقاء الشهري" (٢١/٢٧): (لا شك أن ما ذكره الأخ السائل يدمي القلب، ويفتت الكبد، ويدل على أن المسلمين مع الأسف ليسوا على المستوى الذي يجب أن يكونوا عليه من الدفاع عن إخوانهم المسلمين. لو تأملتَ الإذاعات -الآن!- وجدتَ أكثر الإذاعات أو الصحف أو وسائل الإعلام فيما بين اليهود وبين

الفلسطينيين، مع أن قضية اليهود كلها ألعوبة -فيما نرى- وخيانات وغدر، وليس عجيبًا أن يكون اليهود أهل غدر وخيانة؛ لأن هذا دأبهم، فإنّ الرسول ﷺ لمّا قدم المدينة كان فيها ثلاث قبائل، وكلهم عاهدوا الرسول ونقضوا العهد... لكن موقفنا من ذلك -نحن كأفراد لا كدول-: أن نلجأ إلى الله بالدعاء في كل وقت وفي كل حال يكون فيها الإنسان أقرب إلى الإجابة أن ينصر الله إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن يدمر أعداء المسلمين. ونحن نُشهد الله أن كل كافر فهو عدو لنا سواء كان نصرانيًا أو يهوديًا أو شيوعيًا أو وثنيًا، أي كافر فهو عدو للمسلم، والكفار بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. فنسأل الله أن يقوي المسلمين على أعدائهم حتى يتمكنوا منهم وحتى يكون الدين كله لله).

سابعًا: قال في "مجموع فتاويه" (٤٠٥/١٨): (الواجب على الأمة الإسلامية حكّامًا ومحكومين أن يرجعوا إلى دين الله رجوعًا حقيقيًّا، في العقيدة، وفي القول، وفي الفعل، وأن يحكّموا شريعة الله ويقيموها في أرضه، لتكون كلمة الله هي العليا، ولا شك أن المسلمين اليوم في حال يرثى لها، لأنهم متفرقون متشتتون، تتربص كل طائفة بالأخرى الدوائر، وذلك لعدم صدقهم في معاملة الله، وفي الانتصار لدين الله، ولو صدقوا الله لكان خيرًا لهم، ولو صدقوا الله لجمع كلمتهم على الحق، كما حصل ذلك في أول هذه الأمة الإسلامية. ولا شك أن الجهاد الذي حصل في أفغانستان صار له أثرًا كبيرًا بالنسبة للمستعمرين المضطهدين من المسلمين في فلسطين، وفي أرتيريا

وسيكون -أيضًا إن شاء الله- في غيرها من البلاد المضطهَدة، وسيكون النصر للإسلام والمسلمين إن قاموا به على الوجه الذي يرضي الله عز وجل).

ثامنًا: قال في "اللقاء الشهري" (٢١/٢٢): (الدعاء مبذول لإخواننا المسلمين المجاهدين: في البوسنة والهرسك، وفي فلسطين، وفي كشمير، وفي كل مكان يضطهد فيه المسلمون، هذا واجب علينا، أقل ما يجب علينا لإخواننا هو الدعاء، إذا لم نشارك بأموالنا وأبداننا! فلا أقل من الدعاء).

مِن فقه النوازل

د. ضياء الدين الصالح

عضو الهيئة العليا بالمجمع الفقهي العراقي

ينبغي للمسلم أن يعلم ويعتقد بأن صراعنا مع **الكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين** مسألة عقيدة ودين وتأريخ، كما ذُكر ذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأنّ مِن أضعف الواجب اليوم هو التضرّع إلى الله تعالى بالدعاء للمستضعفين المرابطين من أهل غزة وفلسطين المحتلة عمومًا، والوقوف معهم، والتفكير الجدّي بالجهاد، والإعداد الصحيح لتحرير المسجد الأقصى وكامل الأرض المحتلة من اليهود الغاصبين المعتدين، وندعو الله تعالى أن يُهَيِّئ ذلك في القريب العاجل.

وعلى المسلم أن لا يجعل موقفه من بعض الجماعات -التي يسجِّل عليها بعضَ المَلاحظ- أساسًا ينطلق منه في تأصيل هذه القضية المصيرية، فكلّ جماعة لا تخلو من خير وشر، وصواب وخطأ، نُعينهم على الخير والصواب وندعو لهم، وننصحهم في ترك الخطأ وندعو لهم بالهداية والصلاح؛ **فعندما تكون الحرب بينهم وبين الكفر أو الاحتلال فيجب الوقوف معهم**، فهناك كافر مجرم يبطش دون رحمة وبلا إنسانية، وهناك مسلم يُحارَب في دينه وعرضه وأرضه.

ويجب على المسلمين عامة وعلى طالب العلم خاصة أن يَحذر منال إشاعات المُرجفين وتخذيل المُنافقين -الذين في قلوبهم مرض- أيامَ النوازل

والفتن، والتي تشرئب فيها أعناقهم، وتَطول فيها ألسنتهم، لإثارة الوساوس وطرح الشبهات وتزيين الشهوات، من أجل تفكيك المجتمعات وتضليل الرأي العام وإثارة الفتن والانقسامات، فيولّد ذلك الإرجافَ والخذلانَ، قال تعالى: {لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا} [الأحزاب: ٦٠]، مما قد ينخدع بمكرهم بعضُ من الناس.

فعلى طلبة العلم أوّلًا عدم الخوض معهم فيما يسمعونه من الشُبَه: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦]، ومِن ثَمّ **التصدّي لهؤلاء المنافقين والمرجِفين ورَدِّ شُبهاتهم، وفَضحهم، وتَحذير الأمّة مما يقومون به عند النوازل من إثارة الخوف والإرجاف والتخذيل والإحباط، وبثّ اليأس في قلوب الناس.**

وقد استخدم المشركون هذا النوع من الإشاعات والأكاذيب ضد رسول الله -عليه الصلاة والسلام- في مسيرة دعوته عامة، ومنها في غزوة أحد، وكان لها أسوأ الأثر في نفوس المجاهدين، فنزل التوجيه الإلهي بقوله تعالى: {إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

فيجب الحذر من أن تكون أنت قناةً لكل شائعة ومروّجًا لكل ذائعة، وعليك أن لا تتحدّث بكل ما تسمع، فقد قال عليه الصلاة والسلام -كما في صحيح مسلم-: ((كَفَى بالمرءِ كذِبًا أن يحدِّثَ بِكُلِّ ما سمِعَ))، فإنّ الناس لو سكتوا عن الكلام في الشائعات والأراجيف لَمَاتت في مهدها، ولم تجِد مَن يحييها؛ فأميتوا الباطل بعدم ذكره، واقتلوا السوء بعدم نشره.

وصدق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- حين حذّر من نشر الأخبار والإشاعات بقوله: (لا تكونوا عُجُلًا مَذاييعَ بُذُرًا؛ فإنّ مِن ورائِكم بلاءً مُبَرِّحًا مُبْلِحًا، وأمورًا متماحِلةً رُدُحًا) -أي: ثقيلة وشديدة!-

[صحيح الأدب المفرد، للألباني: ١٣٤].

والمعنى: لا تستعجلوا في الأمور عند الفتن وتذيعوا كل خبر وتبذروا الفتن، لأن في الفتن يشيع الكذب ويفشو، والأسماع تنتظر كل خبر، والقلوب ترجف من كل حدث.

ومَذاييع: جمع مذياع، مِن أذاع الشيء.

والبُذُر: جمع بَذور، وهو الذي لا يستطيع أن يكتم سره، أي المُفشون الأسـرار.

ومعنى مبرّحًا مبلحًا: أي أنّ البلاء سيزداد في الناس حتى يؤثّر فيهم تأثيرًا عظيمًا، ويلازمهم غمّه حتّى يظهر الغمّ في وجوههم المكلحة المظلمة من شدة الهمّ والغمّ، لا تجد إلى البسمة سبيلًا.

ومتماحِلةً رُدُحًا: وهي الفتن التي يأخذ بعضها برقاب بعض، وتستمر ردحًا، وهي فتن ثقيلة، وثقيلة جدًا، وأمور عظيمة متواصلة، يدوم أمدها ولا ينجو فيها إلا المبتعِد عنها، الذي لا يخوض فيها بشيء، ولا ينجو فيها إلا الساكت الذي لا يحدّث شيئًا.

فيا أخي المسلم، ويا طالب العلم: حافظ -بترك الإشاعة والإرجاف- على دينك وحسناتك ووطنك وأمتك، وتذكّر أنّ منهج الكتاب والسُنّة هو النهي عن القيل والقال، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم: ((إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)).

وقد جاء النهي في كتاب الله تعالى عن عدم التثبت والمسارعة إلى نقل الأخبار دون تمحيص، قال الله تعالى: {وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم :٢٨].

ومِن فقه النوازل أن يشارك المسلم -بما يقدر عليه- في مجاهدة العدو، لدفع الظلم والبغي والعدوان؛ فعن أنس -رضي الله عنه- أنّ النبيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: ((جَاهِدُوا المشركينَ

بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)) [صحيحٌ رواه أبو داود والنسائي وأحمد]؛ فالأمر يفيد الوجوب، وقد يكون واجبًا عينيًّا إذا استنفرَهُم وليّ الأمر: {وَإِذَا اُسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا}، وقد يكون واجبًا كفائيًّا كما في رَدّ الصائل على الأرض والعرض والنفس والمال، فيُدفع بالأقرب فالأقرب، وقد ذَكر الحديثُ المشركينَ على وجه التمثيل؛ **ولذلك فهو يشمل جهاد الكفّار والمنافقين والمعتدين والمحتلين لأراضي المسلمين.**

والجهاد يكون بالنفس واللسان والمال على التخيير، بحسب الأنفع والمصلحة، فقد يكون لسلاح اللّسان نَفعٌ، وتتحقّق فيه المصلحة، وذلك بالتضرّع والدعاء، أو باستخدام وسائل الإعلام في كشف جرائم العدو وردّ شبهاته، وكما هو صراعنا اليوم مع الكيان الصهيوني المحتلّ للأقصى الشريف وأرض فلسطين، **فيتعيّن لوقوع النكاية بالعدو** ((اهجُهم فإنّه أشدّ عليهم مِن رَشْقٍ بالنَّبْلِ)) [رواه مسلم].

" غزة مدرسة العزة"

استشراف النصر في أحداث غزة

أ. د. عمار مرضي علاوي

رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب – الجامعة العراقية

كثيرًا ما قرأنا عن سيرة المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم ممن سطروا ملاحم النصر والعزة، فضلًا عمّا شاهدناه في شاشات التلفاز من أفلام ومسلسلات تاريخية علّها تقرّب صورة تلك البطولات وتحفّز فينا ذاكرة المجد التليد.

وها هو التاريخ يعود شاهدًا مرة أخرى بالصوت والصورة ليسجل قصة العزة التي خطتها دماء المرابطين في سبيل حفظ العقيدة وليبقى المسجد الأقصى -أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين- شاخصًا صامدًا في وجه الغزاة المغتصبين.

ونحن إذْ نعيش ونتابع أحداث العدوان الصهيوني المجرم على غزة الصابرة الصامدة، ترجع بنا الذاكرة إلى أحداثٍ تلت وخلت من السلوك الوحشي والهمجي الذي لا يمتّ إلى الإنسانية بِصِلة، في العدوان المتمثل بالحملات الصليبية التي أرادت أن تقضي على الوجود الإسلامي، واغتصاب مقدسات المسلمين تحت ذرائع شتى، وكيف نجح المسلمون في صد ذلك العدوان، سواء بما قام به سلاجقة الروم والأيوبيون، مرورًا بالمماليك، الذيم أجبروا الصليبيينَ على التقهقر وجر أذيال الهزيمة.

ولعل القرآن العظيم هو خير من يخبرنا بوعد الله الناجز، ونصره المتحقق، وكيف أنّ آياته تصوّر لنا طبيعة المعركة الدائرة بين الحق والباطل، نستشفّ منها استشراف النصر للقلة المؤمنة التي ترابط وتجاهد لتحقيق أمر الله تعالى:

١ـ مشروعية الدفاع عن النفس وقتال المعتدين: طال المسلمين من أذى قريش الكثير، حتى أذن الله لهم بالقتال {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩]، وكذا الحال بالنسبة لأهل غزة في أحقيتهم بالدفاع عن النفس نتيجة العدوان الصهيوني المتكرر، فقد آمنوا بمشروعية قضيتهم وأن لا مجال للقعود.

٢ـ عدم الالتفات إلى المثبطين والمرجفين في زعزعة النفس عند مواجهة العدو الغاصب: ذمَّ القرآن العظيم في عدد من آياته الكريمة موقف المُنافقين والمرجفين ومَن على شاكلتهم، في مواجهة العدو وقتاله ، وهذا ما فقهه أهل غزة، وكأنّ لسان حالهم يقول للمثبطين المرجفين في الدفاع عن النفس ومقدسات المسلمين: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيماناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [آل عمران: ١٧٣].

٣ـ تصحيح التصوُّر الخاطئ في مفهوم قوة العدو: لقد صحح القرآن العظيم المفاهيم بل أبطل النظريات القائلة بعدم هزيمة العدو المتغلب، فكان موقف الصحابة رضوان الله عليهم سليمًا في التعامل مع هذه الآية، وكذا الحال بالنسبة لأهل غزة للذين قالوا إنّ جيش المحتل لا يُغلب ولا يُهزم، ولعل المشهد القرآني يصور تلك الحالة: {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ • قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الشعراء: ٦١-٦٢].

٤ـ قضية العدد والمبالغة في تضخيمه على حساب الجانب الإيماني: هذا الأمر

يؤدي الى خلخلة المفاهيم والابتعاد عن جادة الصواب، فالعدد لا يساوي شيئًا في ميزان الحق، لأنّ الإيمان بالله تعالى وبوعده ونصره هو الفيصل: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ واللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]؛ فالتعايش مع القرآن العظيم يصحح المفاهيم والأفكار، ويعطينا الدروس في كيفية التعامل مع الأحداث التي لم تجرِ عبثًا، بل وفق قوانين الكون.

٥ـ تَجاوُز الأسباب المادّيّة: يذكرنا موقف أهل غزة بأحداث غزوة بدر التي تجاوزت كل الأسباب المادية وتعلقت بمسبب الأسباب، لتعطي درسًا في الإيمان الحقيقي بالله تعالى، وتقديم ما هو مطلوب بعيدًا عن النتائج: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [آل عمران: ١٢٣]. وكذلك الحال في غزوة حمراء الأسد التي عبّرت عن حال المسلمين وتلبيتهم نداء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما أراد أبو سفيان حينها الإجهازَ على المسلمين، فكان لسان حال المسلمين: {الَّذِينَ اسْتَجابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: ١٧٢]. فلم يكن فيهم سقيم الرأي ولا متخاذل أو مرجف، على الرغم من أنهم خرجوا من غزوة أُحد منهَكين، وحصل لهم ما حصل من جراح وقتل وتمثيل.

٦ـ لقد علمتنا أحداث غزة أنّ تلاوة القرآن العظيم ليست مجردة من معاني التدبر: فالآيات تعيش مع المجاهدين بكل تفاصيلها: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: ٣٩]، فلم تكن هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات مجرد تلاوة، بل يعيشون معها ويفقهوها إلى درجة شعورهم بأنهم هم المخاطَبون.

٧ـ حتى الأطفال نجدهم قد تشبعوا برضاع معاني القرآن العظيم: فَهُم مدركون لخطر الكيان الصهيوني الغاصب وحقيقة الصراع الدائر بين الحق والباطل، فيتحدثون بكل إيمان، وبعقيدة ثابتة، بلا جزع ولا خوف، وحتى النساء تذكّرنا بالخنساء وهي تدفن أولادها... بل حتى عجائزهم يشرحنَ لنا حقيقة الإيمان بالله العظيم وقدره الناجز.

٨ـ مصداق النبوءة المحمّديّة: فإنّ في أحداث غزّة مصداقًا لقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في وصف الطائفة المؤمنة المتمسكة بالحق: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلّا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك». قالوا : يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس».

٩ـ وعد الله تعالى بالنصر والتمكين: سواء طالت المعركة أم قصرت، فإنّ وعد الله حقّ: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: ١٧١ـ١٧٣]. فلا جزَع ولا استسلام مِن قِبَل صاحب القضية، لأنه يقاتل بأمر الله ودفاعًا عن حرماته.

المقاطعة
صوت الشعوب في وجه الاحتلال

ضحى الجبوري

عضو الائتلاف العراقي لنصرة الأقصى

في زمنٍ امتلأتْ فيهِ شاشاتُ التلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي بصوَر المَجازر في غزّة، لم يعُد الصمتُ خَيارًا. {رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ}.

قد لا نملك سلاحًا، لكنّنا نحمل قرارًا قادرًا على أن يُحدِث الفَرق؛ فمِن رفوف المَتاجر تبدأ الحكاية، إذ يتحوّل الاختيار البسيط إلى موقفِ عدالة.

إنّ المقاطعةَ اليوم ليست مجرد امتناع عن شراء منتجٍ ما، بل هي صرخة شعوب مغلوب على أمرها، تقول: نحن لسنا شركاء في الجريمة، ولن نرضى الظلم ما حيينا.

قد تكون المقاطعة وسيلة هينة، لكنها تعبِّر عن ضمير حيٍّ يرفض أن يتحوّل المَال الشخصيّ إلى رصاصةٍ تُوجَّه ضدَّ الأبرياء.

المقاطعةُ فعلُ مقاومةٍ ناعمٌ، لكنّه مؤلمٌ للطرَف الآخَر؛ فقد صارت تذكُر الشركاتُ الداعمةُ للاحتلال أنّ المستهلِك العربي خاصة لم يعُد غافلًا،

وأنّ قراره في السوق يمكن أن يُحدث فرقًا حقيقيًّا في العالَم، وهو ما أثبتته سوقُ الاقتصاد العالَمِيّة خاصّة خلال العامين المنصرمَين (٢٠٢٣ – ٢٠٢٤م)، حيث انخفضَت مبيعات بعض العلامات التجارية الكبرى المعروفة بدعمها للاحتلال "الإسرائيلي" الصهيوني، وأُغلِقت فروع عدة لسلسلة مَتاجر ومَطاعم داعمة بعد حملات المُقاطعة، بل بدأت بعض الشركات تعيد النظر في مواقفها، أو تحاول تبرئة نفسها من دعم الاحتلال.

يقول بعض الناس: "إن المقاطعة لا تغيّر شيئًا"، لكن الحقيقة: التغيير لا يحدث دفعة واحدة، بل يبدأ من وعي الإنسان وإيمانه بمبدأ، وهدف، ورسالة، وما المقاطعة إلّا واحدة من ذلك؛ فهي تعبير عن أن كرامة الإنسان وشرفه أغلى من أي سلعة. إنها معركة الوعي، ومعركة الوعي لا تُخاض بالسلاح، بل بالعقل والموقف. وهي تذكيرٌ بأنّ فلسطين عمومًا ليست قضيّة بعيدة أو مَقصيّة، وأنّ الجرائم في غزة هي مقياسٌ وجدانيٌ إنسانيٌ، واختبارٌ يوميٌ لمَدى صِدقنا مع قِيَمِنا حين نقف مع المَظلوم بكل ما أوتينا من قدرة، وبوسائلنا المتاحة، وإن بدا الفعل صغيرًا.

ختامًا، علينا أن نعيد ترتيب خياراتنا "اليومية" في الأسواق والبضائع، ونتعامل مع المقاطعة كأساس يعيد تعريف المسؤولية الفردية من قضية دينية لها وزنها، وليس مجرد شعار، لا سيما أنها في وجه قوة تعتمد في ديمومة كيانها وبقائه على الاقتصاد والربح والخسارة.

(أزمة الحوار السلفي)

مُنعطف الدَّروشَة السِّياسِيَّة

سامي مصطفى حسن

باحث في العلوم الإسلامية، من العراق

إمام وخطيب جامع صلاح الدين بأربيل

ربما كان قديمًا أشدّ ما يُؤذِي السلفيَّ قولُ المُتعصِّبِ للمَذهبِ الفِقهيِّ: (هذا هو المَذهب)، ضاربًا الدليلَ عرض الحائط! أو قول المتصوِّف: (هذا ما قاله الشيخُ) كأنَّ الدليلَ الشرعيَّ مِن الكتاب والسنة لا يَعنيه!

أمّا اليوم فأشدُّ ما يُؤذي السلفيَّ النقيَّ: دَندنةُ السلفيِّ المُتطرِّف حَول طاعةِ الحُكّام! وتَكرار مَواقف المُوالاة السياسيّة لِأُمرائهِ ومُلوكهِ! كأنّ قرارَهم السياسيّ المَخذول هوَ الدِّين! وأنّ مخالِفَهم شيطانٌ رجيم! بل كأنّ الوَلاء لهؤلاء المُتخاذِلين هوَ مِعيارُ الانتماءِ إلى السلفية!

وقد بات أصحابُ الخِطاب السلفيّ المتطرِّف يصرِّحون بذلك دون خجَل، حتى قال قائلهم: (أصبح الأمير [فلان] رمزًا لكلّ مَن يُريد أنْ يَطعن بالسُّنّة وأهل السُّنّة وأهل التَّوحِيد= أنْ يَطعنَ بالأمير [فلان]... وأصبحَ الطعنُ فيهِ علامةً على الانحرافِ في هذا الزَّمان)!! هكذا قال! وبهذا يكون قد رفعَ مَقام هذا الأمير الفاجِر الغاشم -الذي يَنشُر الفجور في بلاد الحرَمين ويُهدى الختمُ

النبويُّ للعاهرات أمامَ عينه في بلاده بلاد الحرمين- فجعلَه في مَقام سفيان الثوري وابن عيينة والشافعي وأحمد بن حنبل والبخاري وابن تيمية؛ هؤلاء الذين كان الطعن فيهم -ولا يزال- طعنًا في السُّنّة!

حقًّا إنّ كلامَ السلفيّة المتطرّفة اليوم يُؤذي المَشاعر العالية ويُؤذي العقول الراقية... يبلغ بالعاقل العالِم حدَّ الوجع، وجعًا على سوء حال المسلمين وسخافات المتعالِمين وخفَّة عقول المتمشيخين...

لكنْ مهما كان فإنّنا وإنْ عانينا صعوبة سُبل العِلاج السلفيّ الرصين، فإنّنا فَرِحين بالاحتساب على ما نُعانيه من الوجع بأنواعه، وأعظمه: **وجع غزة**، وتَخاذُل دوَل المسلمين عنها -بأمرائها وملوكها ورؤسائها- الذين حقّ فيهم قول ابن رشيق القيرواني:

أَلْقابُ مَمْلَكَةٍ في غَيْرِ مَوْضِعِها
كالْهِرِّ يَحْكي انْتِفاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ

فكأنّ الشاعر في هذا البيت الشهير تنبَّأ بسقوط الأندلس ولو بعد حين... ونحن نردّده اليوم في القاع، حيث لا مَزيد من الخذلان؛ إلّا أننا نتفاءل بما تعلّمناه من **جِهاد غزة** الكثير، {وإن الله على نصرهم لقدير}...

وأقول ختامًا:

إنّ الخطوط الحمراء التي جرّها مستر سايكس ومستر بيكو على بلاد الإسلام قبل أكثر من مئة عام، ها نحن نجني الآن ثمارها الخبيثة... والمُحزِن جدًّا أننا نجد ذلك الخبث في قول بَعض من يَنتمون إلى العلم! وينتسبون إلى السلف! نسأل الله أن يستبدلهم بمن يحمل أمـانـة الوحي كما ينبغي، مخلِصًا -غيرَ الله لا يَبتغي-، شُجاعًا يأبى الذُّلَّ ولا يَقبل البغي...

{وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}. [مُحَمَّد: ٣٨].

الخِطاب السلفي المعاصِر

د. كريم مصطفى نفادي

باحث في العلوم الإسلامية، من مصر

إنّ الخِطابَ السلفيَّ المعاصرَ يحيا اليومَ خارج سياق الواقع، أسيرًا بين أروقة بعض الحِقَب الزمنية وبعض قضايا التاريخ العقدية، ولا يُدرِك أربابُه معنًى للزمن وتطُّور أدواته، وفروض الواقع ومستجدّاته.

هذا الخطاب من أخطر ما تواجهه المجتمعات في الوطن العربي اليوم؛ وذلك لأننا في أخطر حقب التاريخ الإنساني، نحيا بين تزاحم بعض الدول على قيادة العالم، وإعادة صياغته من جديد.

وأدوات الصراع في العلاقات الدولية لا تَستبعد الطائفية والمسائل العقدية والقضايا التاريخية في الاستقطاب والانقسام الداخلي بين الشعوب، لمنع تحالف ناشئ أو لتكوين تحالف جديد.

واستخدام الخطاب السلفي المحافظ في توجيه الجماهير ليس جديدًا، وليس غريبًا على منطقتنا، ولكن ما نعانيه اليوم هو خدمة الخطابات السلفية المعاصرة لِمَصالح أعدائنا، فلا تجدها إلا في زيادة فرقة الأمة وتشتتها وتشرذم جموعها!

في الوقت الذي نحتاج فيه إلى خطاب يراعي الأولويات وفقه الواقع مبتعدًا عن القضايا الفرعية التي لا تنفع المسلمين في دينهم، بل تشغلهم عن مواجهة تحديات عصرهم ومعالجة

أزمـاتـهم.

ولـن تصـمد تلك الخِـطابـات والمجتمعات الدينية المنعزلة داخل أروقة التاريخ، ما دامت حبيسةَ بعضِ المسائل العقدية والفقهية التي تصنف غيرها فيها، باحثةً عما يفرقها عن غيرها أكثر من بحثها عما يجمعها ب غيرها، وذلك مثل خطابهم الطائفي عن الشيعة دون مراعاة ظروف الوقت الراهن -**في ظل مستجدّات القضية الفلسطينية**-، فإن استعادة بعض القضايا الخلافية بين السنة والشيعة هو ما يتمنى أي عدو لهما إيقاد ناره بينهما. **وكذلك موقف بعض رموز السلفية من حرب غزة الأخيرة** والتي ما زالت مشتعلة، حيث لم ينفكوا عن **نقد المُقـاومة ورمـوزها**، والتشكيك في إنجازاتها على الأرض ضد الاحتلال، والبحث عن مَواطن خللها، وتوبيخهم على حركتهم يوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، والتقليل من جدواها ومكاسبها. وكذلك التشنيع عليهم بسبب استفادتهم من المحور الشيعي دون اقتراح البديل السني المناسب لهم!

وأمام ذلك الخطاب السلفي الذي يفتقد أبجديات الوعي السياسي وظروف القضايا الإقليمية المختلفة، وأمام تلك الغارات الفكرية من الشرق والغرب، **لا يملك المسلم إلا أن يتحصن بالوعي**، وأول مناطاته: إدراك الواقع بكل مفرداته، وفهم أولوياته، مع امتلاك أدوات العصر ووسائله الحديثة، ومعرفة مسالكه، في ظل منظومة الحروب الفكرية والاجتماعية التي لن تصمد أمامها تلك الخطابات السلفية المعاصرة، والتي لا تهتم إلا بنبش قبور التاريخ، وإثارة الجدالات العقيمة حول بعض فروع العقيدة والفقه، ومحاولة إقصاء المخالف وتبديعه أو تكفيره، والسعي في تسقيطه بشتّى الوسائل!

ويُخطِئ مَن يظنّ أنّ الحروب الاستباقية مجالها ميادين المعارك بالسـلاح، بل الأفـكار ومنتجـات الحضارة أصبحت كلّها أسلحة فتاكة،

ومَن لم يحصّن نفسه بعلوم العصر وفقه الواقع وفَهم مقاصد الشرع ومراتب المَصالح والمَفاسد، سيُصبح خِطابه أضحوكةً يُتندَّر به.

وقديمًا عَرف الفقهاءُ الفقهَ الافتراضيَّ الّذي برِع في مسائله الفقهاء، والآن نجد الفقه الإسلامي عامّةً والخِطابَ السلفيَّ خاصّةً بحاجة إلى فقهِ النوازل في جميع المَجالات، أكثر من حاجته إلى اجترار مسائل فقهيّة لم تَعُد مَطروحة، وضعُفَت الحاجة إليها.

كتابٌ من إصدارات شبكة روى: يُعنى بِتفنيد الخِطاب الدينيّ المُخذِّل للقضيَّة الفلسطينيَّة

تجريم المجاهدين والتجارة بالدين

حسام أيوب

كاتب وأديب أردني

في المنظومة الفكريّة الإسلاميّة توجد تجارة بالدِّين؛ أقصدُ كجريمة؛ ولا يوجد تاجر دِين!

ركّز معي: عندما يُخبِرُكَ النَّصُّ المُقدّس أنّ أول مَن تُسعَّر بهم النار يوم الحسابِ هُم ذوو أعمال صالحة، لم يكونوا مُخلصين لله سبحانه، فهو إذنْ يُقِرّ وجودَ جريمة التجارة بالدِّين، وعندما أخبرك أنّ انشكاف حقيقة هؤلاء يتمّ يوم الحساب، فهو بذلك يضعك كمخلوق في مواجهةٍ معَ ضَعفك البشري، أنتَ لا تستطيع معرفتهم، لأنّك لا تستطيع رؤية ما في القلوب.

ما الفائدة التي تجنيها -أنت بصفتك مسلمًا- مِن فهم ذلك؟!

أنك تحظى بالاستقرار النفسي تجاه أعمال الآخرين، خذْ شيوخَ المَداخِلة مثالًا على ذلك؛ إنّهم يُجرِّمون المُجاهِدين في الأرض المُقدَّسة، يطعنون بهم ويحاولون تثبيطهم ليلًا ونهارًا؛ أهُم تُجّارُ دِين؟!

إنْ كنتَ تعبدُ القضيّة فبإمكانك أنْ تجيبَ بما تشاء؛ أمّا إنْ كنتَ تعبدُ الله تعالى فلا تستطيع أنْ تتّهمهم بهذه التُّهمة. تصوَّر يا رجل! حتى شيوخ المَداخِلة لا تستطيع أن تقول إنّهم تجّار دِين!

مقولاتهم كُلّها بالنسبة لي خاطئة، وأستطيع تفنيدها مقولةً مقولة، أمّا

صِدقُهم في اعتقادهم بصوابيّة ما يقولونه فلا أستطيع التشكيك فيه، إقرارًا منّي بضعفي بوصفي مخلوقًا، وتأدُّبًا مع الخالق سبحانه، أتركُ ما في القلوب لربّ القلوب. أتريدُ استقرارًا نفسيًّا أكثر مِن هذا؟! أقصدُ أنْ تُميّز بين الخطأ والصواب دون أنْ تتدخّل في صدق اعتقاد القائل تجاه مقولته! هو يراها صوابًا، ويقول إنّه يتعبّد لله سبحانه بها؛ فلا تملك أنْ تشكّك بما يُعلِنُه مِن اعتقادٍ انتصارًا لأفكارك، بل تُثبِتْ صوابيّة أفكارك وتُفنّدُ مقولاته بالأدلّة ثم تترك قلبه لله سبحانه.

ستحظى إذن بالاستقرار النفسي مِن جهة؛ وسوف تُغلِق أمام الهُرائيين بابًا خطيرًا مِن جهة أخرى، فتشكيك المُسلمين الآن بصدق بعضهم البعض، سينعكس عليهم بالسلب بعد أيّامٍ أو سنوات، إذ سيجد الهُرائيّون كميّة ضخمة مِن الإثباتات على أنّ الشيوخ العلم الشرعي وطلَبَتُه يَتَّهِمون بعضَهم بالتجارة في الدِّين!

ما أخطر ما يقوله المَداخِلة؟! زعموا أنّ المجاهدين تسرّعوا في طوفانهم فكبّدوا الناس الآمنين خسائر فادحة نظرًا لأنّ العدو يوفقهم قوّة؟ طيّب؛ ما الذي يفعله المَداخِلة الآن ليصبحوا مُستعدّين في المستقبل لمواجهة العدو؟! أليسوا يُجرّمون التسرّع؟ جيّد؛ ما هي خطّتهم البطيئة لاسترداد المسجد الأقصى ولو بعد مليار سنة؟! ما مشاريعهم على أرض الواقع ليصبحوا أقوى مِن العدو فلا يتكبّدون الخسائر عندما يواجهونه؟! هل يُطالبون بصناعة سلاحهم وزراعة غذائهم على الأقل؟! هل يُطالبون بإلغاء أو تجميد الأنشطة الترفيهية التي تحول دون التركيز في الإعداد لمواجهة العدو؟! للأسف لا. لا شيء ممّا ذُكِر، فلا هُم نصروا المجاهدين إذن ولا أقاموا بأفعالهم الحُجّة على غيرهم، لكنّي مع ذلك لا أتهمهم بأنّهم تجّار دِين، ليس تبرئةً لهم، بل تبرئة لنفسي مِن التقوّل على الله سبحانه. لأنّني مخلوق؛ أعيشُ إذن وأفكّر بوصفي مخلوقًا. وأترك للخالق ما للخالق سبحانه.

تتجه البوصلة
نحو الأقصى دائمًا

عبد العزيز الجميلي

مدوِّن وناشـط عراقي

لم تكن القضايا الإنسانية يومًا بمعزل إحداها عن الأخريات، لا سيّما العراق وفلسطين، وأعني أرض العراق وفلسطين، التي عرفتهما البشرية منذ آلاف السنين، وليست خطوط سايكس-بيكو المزعومة. وعلى الرغم من تعدد الجبهات المفتوحة، وتنوع المعاناة في هذه المنطقة الساخنة، إلا أنّ فلسطين بقيت في المقدمة.

لطالما كانت فلسطين والقدس والمسجد الأقصى هي قضية العراقيين الأولى، ورأس بوصلتهم؛ فقد تأسست "جمعية إنقاذ فلسطين" في بغداد بعدما أبلى المجاهدون العراقيون حسنًا، وعادوا من "حرب النكبة" عام ١٩٤٨م، التي سرعان ما انتشرت في المحافظات العراقية، ثُمّ دولًا إسلامية وعربية عديدة. وقد تأسست على يد الشيخ محمد محمود الصواف وعلامّة العراق الشيخ أمجد الزهاوي وشخصيات بارزة أخرى، وعَقدت الجمعية أول مؤتمر عالمي رسمي لها عام ١٩٥٣م (مؤتمر القدس) في بغداد، وفي حينها كانت دول العالم الأوّل لا تعرف لغةً سوى لغة الاقتتال والتدمير.

وقد عملتْ الجمعية على جمع التبرعات ودعم المجاهدين وتحشيد الناس، وعملت كذلك على التوعية وشرح القضية في مختلف الأماكن والمناسبات، من مساجد وجامعات وملتقيات شعبية وحتى في المقاهي والأسواق، وعملت على إظهار أن هذه القضية هي قضية جميع المسلمين وقضيتهم الأولى والأهمّ، وركزت على ذلك بشدّة.

وحتى بعد أن دخل العراق في معتركات، وشغلته الحروب، لم ينفك العراقيون عن قضيتهم الأهم، وبقيت بوصلتهم تشير دائمًا نحو القدس الشريف، ومَدافعُهم كذلك.

وقد تَسمَّت شوارع وساحات ومساجد ومناطق بغداد والمحافظات بأسماء مدن ورموز وشخصيات فلسطينية "كالقدس والأقصى وحيفا ونابلس ويافا وجنين والصخرة وأحمد ياسين ومحمد الدرة وصلاح الدين".

لو طوينا السنين التي تلت، حتى يوم العبور العظيم، صباح السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، يوم أخرجَت غزّة قلمًا وأعادت خطّ التاريخ، وغيّرت معادلة دوَل هذا العالَم المتمايل والمترقّب...

وسرعان ما تيقّظَت بغداد ومحافظات أخرى، وأعادت نصْب شاشات التلفاز المهمَلة ومتابعة قنوات ووكالات الأخبار وصفحات التواصل الاجتماعي، وسرعان ما هبّت المساجد لتغيير خطب الجمعة والمناسبات للحديث عن غزّة والصراع الوجودي فيها، ونُصبت صناديق تبرعات خاصة لها، وارتفعت المآذن بدعاء القنوت في الصلوات، ثم تلت ذلك المسيرات والوقفات التضامنية بعد كل صلاة جمعة في مناطق عديدة ببغداد، مثل الأعظمية والمنصور واليرموك والعامرية والغزالية والسيدية والخضراء ومناطق مهمة

أخرى، وكذلك في محافظات نينوى والبصرة وكركوك والأنبار وصلاح الدين وغيـرها.

لكن بقيّت هذه القضية محمولة بشكل أساسي مِن قِبَل التيار الديني، الذي بدأ يستعيد توًّا نشاطه بعدما فقَدَ الكثير من رجاله وأدواته في العراق.

وتَحتَّم عند نهاية شهر أكتوبر/ تشرين الأول، القفز والسباحة وسط تيارات متلاطمة، وخَلق تيار شعبي نخبوي له سماته وأهدافه، يمكنه أن يصل برسائله إلى المجتمع بمختلف توجهاته وأولوياته، ويضع على طاولتهم القضية الأهم، ومُرتَقب العالَم أجمع في هذه المرحلة، ويُرسِّخ فيهم ما قد يُنسى أو يُـمحى.

ولأنّ طوفان الأقصى هو حرفة الشباب وملعبهم، بدأ الشباب في العراق بالتحرّك، معبّئًا كلّ الفراغات في ميدان العمل المنشود، محقّقًا التقدّم مرّةً، ومُخفقًا مرةً أخرى، يحاول في كل مرة تدوير دواليب العمل المستمرّ في المسارات الصحيحة والناجعة التي تصب في خدمة فلسطين وغزّة والمسجد الأقصى المبارك.

وقد أُسِّسَت العديد من الحملات والفرق التي أخذت على عاتقها العمل المثمر البنّاء، الذي يصب في خدمة القضية الأسمى، فجمعت مبالغ مالية ليست بالهيّنة، وأُرسِلت إلى المؤسسات الإغاثية والطبية.

كما أُقيمَت تجمعات ومهرجانات اجتماعية توعوية وخيرية وحملات شرح لمعالم المسجد الأقصى والتوعية بمدن فلسطين والتسلسل التاريخي للأحداث وتفنيد بعض المغالطات.

وحاولَت هذه التحرّكات الشبابية توسيع رقعة التضامن والتفاعل مع الحرب في غزّة والواقع الإنساني فيها، ونتجَ عنها الدخول إلى مجتمعات ونُخَب

جديدة، كالجامعات والمَدارس والشخصيات المؤثرة في مواقع التواصل الاجتماعي.

ثم ما لبث هذا الحراك الشعبي أن كان جزءًا من الحراك العالمي لحملات المقاطعة التجارية للمنتجات الداعمة للكيان الصهيوني وحربه ضد المدنيين، ودعمها الصريح للجيش المقاتل في غزّة، وقد شملت الوكالات والمحلات التجارية والمطاعم والشركات، وحققت تقدمًا ملحوظًا في بعض الأصعدة -مع أنه ليس كافيًا-.

وخرجت مظاهرات ضد مراكز بعض الوكالات التجارية الغذائية التي دعمت الكيان الغاصب بشكل صريح، وتلتها خطوات قانونية توجهت إلى رئيس الوزراء ومجلس النواب ووزارة التجارة، لكنها توقّفت بعد هجمات ممنهجة من جهات مجهولة أدّت إلى تحطيم وإغلاق تلك الوكالات مؤقّتًا!

وعلى صعيد آخر، تعمل حملات رقمية لمقاطعة العديد من المشاهير والشخصيات المؤثرة في مواقع التواصل الاجتماعي والفن والإعلام، ممن تجاهلوا الحرب في غزّة، أو هوّنوا منها، أو طبّعوا مع الإبادة الجماعية فيها، وقد أحدث ذلك تأثيرًا ملموسًا في إجبارهم على الحديث عن القضية، أو تناولها بين الحين والآخر، وقد لجأ البعض منهم تارة إلى تهديد ناشطي هذه الحملات، وتارة بمحاولة إغرائهم ورشوتهم لتجاهلهم المُقاطعة.

وعملتْ فِرَق من المُدوّنين والصحفيين على رفد هذا الحراك بالموارد الفنية والبشرية، والتنسيق مع وسائل الإعلام العربية والعالمية، وتوفير مواد صحفية بإعداد الأخبار والتقارير لهم، ورفدهم بالتغطية والبث المباشر، لرسم صورة مختلفة وحقيقية عن واقع دعم فلسطين وغزة في العراق.

وخلال عام كامل من الطوفان،

دوّت صيحات وهتافات في شوارع بغداد والمحافظات العراقية، وقد أدخل طوفان الأقصى في أهازيج وأناشيد بعض الأعراس ومجالس عقد القِران، وما أن ينتهي العقد الشرعي للخاطبين حتى يبدأ أصدقاء العريس بالهتاف:

حُطّ السيف گبال السيفْ
كُلْنا رْجـال محمّد ضيـفْ

فجِّر عبـوة واشْـعل نـارْ
كُلْـنا رْجـالك يا سـنـوارْ

يا أبو العبد لا تهتمْ
اقصنا ونفديه بالدمْ

يا أبو عبيدة يا حبيبْ
اقصفْ دمّرْ تلْ أبيبْ

هيبةْ عْلَى هيبةْ .. يـا بـو عُبيدةْ

ثم استمرت الأنشطة العديدة مِن مَسيرات ووقفات احتجاجية تخرج من المساجد بعد صلوات الجمعة والعيد، أو المسائية منها في الشوارع والتقاطعات المهمة، أو على سفارات دول الطوق التي تحاصر فلسطين وتمنع دخول الغذاء والدواء إليها، وكذلك الأنشطة الاجتماعية والطلابية التي توعّي بقضية فلسطين والمسجد الأقصى والإبادة الجماعية والتجويع في غزّة.

وأُقيمَت مجالس عزاء لشهداء المقاومة الفلسطينية وقادتها، تلتها مَسيرات حاشدة، سجّلت الموقف بأننا أصحاب هذه القضية قولًا واحدًا ثابتًا، ولسنا متضامنون معها فحسب، ومهما حاولت ماكينات الاحتلال والاستعمار العسكرية والإعلامية والاقتصادية خلع القضية الفلسطينية من نفوس الشعوب العربية والإسلامية، ستفشل فشلًا ذريعًا ساحقًا، وستجني ثماره لاحقًا عندما يقرّر ذلك الشعب الفلسطيني الأبيّ.

من الأندلس إلى غزة:
صراع الأرض ونداء الأحرار

محمد زياد فناطسة

أديب وباحث في اللغة العربية، من الأردن

في مشهدٍ مأساويّ يعكس جراح التاريخ، تقف فلسطين، مثل الغيم الذي يَحجب الشمس، تُحلّق فيها أرواح الشهداء، وتنزف فيها دماء الأحرار.

هذه الأرض، التي أُعطيَت قدسيتها بفضل الأنبياء، شهدت عبر العصور تجليات الإيمان وملاحم المقاومة.

فلسطين ليست مجرد بقعة جغرافية؛ إنها رمز للحق المغتصَب، حيث يتجلى النضال كقوة لا تُقهر، ويتصاعد صوت الحق كأنشودةٍ تُخاطب الأزمنة.

وعندما نتأمل في لحظات الأندلس الأخيرة، تبرز أمام أعيننا صورةٌ مفزعة: صورة غرناطة، تلك الجوهرة اللامعة في سماء الحضارة الإسلامية، تُسْلِم أعناقها للغزاة.

وصورة أهلها، الذين تعانقوا مع التاريخ، كانوا يتنفسون الحرية ويحتسون من ينابيع العلم والفكر، حتى جاء ذلك اليوم الأسود، حين ارتفعت أضواء الجريمة لكي تحجب عنهم شمس الأمل.

وصورة صرخات الأطفال تتعالى، ودموع الأمهات تذرف كما ينهمر المطر، في مشهدٍ يُحاكي جراح غزة اليوم.

تلك الأرض التي حملت عبق الرسالات السماوية، أصبحت في عتمة

الظلم، حيث تنهمر القذائف كوابلٍ من عذاب، تُسقط كل شيء في طريقها، وكأنها تحاول محو التاريخ، لا بل محو الهوية. الغزاة اليوم، يسطرون بأيديهم الخبيثة صفحاتٍ جديدة من العنف، يُدنّسون المقدسات ويطاردون الأحلام. هنا، في شوارع غزة، تدوي صرخات الأمهات الحزينات، ويمضي الأطفال نحو القدر المحتوم، لا ذنب لهم إلا أنهم وُلدوا في أرضٍ لا تعرف السلام.

ففي تلك اللحظات، حين يتحول الحلم إلى كابوس، تُسطر الأمهات ملاحم بطولية على جدران المنازل المهدمة. يخرجن إلى الشوارع، يحملن أطفالهن كما يحمل التاريخ ذكرياته، وكأن الحياة تعلن تحديًا للغُزاة.

غزة، بمقاومتها الطاهرة، تجسد تلك الروح التي لا تنحني، تتحدى كل ما يحاول أن يُخمد صوت الحق. وكأن كلماتي تتنفس بعبير تلك المعاناة، فيتصاعد نداء الأحرار من بين الأنقاض، ينادي بالعزة والكرامة.

أينما اتجهت في فلسطين، تلمح في العيون بريق الأمل، حتى في أوج الألم. فالأرض التي شهدت أشرف الرسالات السماوية، تقاوم بمجدها وعزتها، وكأنما تعاهد التاريخ على أن تبقى مرفوعة الرأس. فكم من مرةٍ سقطت فيها رايات الاستعمار، وكم من مرةٍ قام فيها أبناء فلسطين من بين الرماد، يُعيدون كتابة فصول من المجد والنضال.

إن غزة اليوم، ليست وحدها في صراعها؛ إنها صدى لفلسطين بأسرها. وكأننا نسمع صوت الأندلسيين المُحطَّمين يُردّد في آذاننا: (إنّ الحرية لا تُستردّ إلا بالدماء الطاهرة). فالأمهات في غزة، كالأمهات في الأندلس، يحملن أبناءهن بحب وحنان، لكنهن يعلمن أن تلك الأحضان قد تكون آخر ما يلامسهم قبل الفراق. ومع كل قذيفة تسقط، يكتب التاريخ حكاية جديدة من قصص الشجاعة والتضحية.

فإذا كانت الأندلس قد سقطت في غفلة من الزمن، فإن فلسطين لا تزال

تقاوم، تحمل لواء الحق في زمن الظلم. وبمقارنةٍ مدهشة، نجد أن الحزن والألم يتداخلان في نسيج واحد، يجمع بين البعد التاريخي والمعاصر، بين لحظات انكسار الأندلس وصمود غزة.

إن كفاح الشعب الفلسطيني، هو تجسيد لروح الأندلس في صراعها الأخير، وهو منارة لكل الأحرار.

فلنتحد جميعًا، في وجه الغزاة، ولنرفع أصواتنا ضد الظلم، ونطالب بحقنا في الحياة والحرية. في النهاية، سيظل صدى الحق مرتفعًا، والشهداء يُعانقون السماء، ففلسطين تبقى أبدًا ملهمة للنضال والمقاومة.

طوفان الأقصى المبارك بعد عام:
جردة حساب

د. صالح نصيرات

أكاديمي ومستشار تربوي وكاتب مهتم بالشؤون الإسلامية، من الأردن

مِن المَفروض أن يتوقّف كلّ واحدٍ منّا ويُراجع ما فعله لأجل غزة: مجاهدين وحاضنة طيبة مباركة دفعت من موقفها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، ودفعت ثمنًا باهظًا، فدُمِّرَت المُدن والمخيّمات والمساجد والمستشفيات... ماذا قدّمنا؟

العاطفة مهمة وضرورية ولكنها ليست كافية. فهل قَدَّم الغنيّ ما يستطيع؟ هل قدّم العالِم ما يرفع المَعنويات ويحرّض على الجهاد بالمال والجهْد؟ هل قدّم المربّي والمفكّر والمؤرخ والناشط ما يستطيع؟

ما زالت الحرب الظالمة دائرة وبعنف ووحشية، أفلا نراجع أنفسنا ونقدم ما نستطيع فنعذر إلى الله ولا نكون ممن شهد موسم الجهاد والعطاء ففاته خير كثير لكسل أو بخل أو قنوط لا سمح الله.

ألمٌ وتحسُّر ومناجاة لله؛ فهل هذا يكفي؟ هل نجحنا في بعث الروح الجهادية في شعوبنا؟ هل نجحنا في التواصُل مع المُؤيِّدين للحقّ الفلسطيني؟ هل وقفنا في وجه المنافقين المثبطين والمرجفين الذين لا همّ لهم سوى نصرة العدو المجرم؟ هل بثثنا

الوعي الكافي ليعرف العالم حقيقة هذا العدو النازي؟

مليار ونصف من مسلمي العالم لو تحرك عشرة بالمئة منهم (١٥٠ مليونًا) لتَغيَّر وجهُ العالَم.

لماذا لم يتحركوا؟ لماذا شعوب مسلمة بأكملها في بعض البلاد لم تستطع إرسال لقمة طعام أو شربة ماء؟

لم يستطع المَلايين إيقاف حرب مدمرة على العُزَّل من النساء والأطفال والشيوخ...

أما أهل غزة من المجاهدين المرابطين الثابتين فقد قدموا للعالم كله المثل والقدوة، وأظهر واقعهم أن الإرادة والتعلق بالله والصبر والتوكل حقائق وليست أوهامًا كما يحاول الماديون والملحدون والمنافقون تصويرها للناس.

أحرار العالم انتفضوا وأبدعوا، ولم يكلّوا ولم يملّوا حتى اللحظة.. فهل شاهدتم الآسيويين من اليابان وكوريا وفيتنام يقفون مع المغربيين من أمريكا وإيرلندا وإسبانيا وإيطاليا وبريطانيا، يجوبون عواصم بلادهم يرفعون هتاف "فلسطين حرة من النهر إلى البحر"، سُجنوا ولوحِقوا وضُربوا بأيدي شرطة دول العالم المسمى زورًا وبهتانًا "العالم الحر" ولم يتوقفوا؟

هل شاهدتم الآلاف من الغربيين يدخلون في دين الله أفواجًا لما رأوا من حسن التوكل واليقين بما عند الله؟

ألا نشعر بالخجل ونحن نرى أمتنا تعيش كما لو أن الأمور بخير، وأن النصر سيأتي على طبق من ذهب بلا تضحيات ولا شهداء؟

هل شاهدتم الحكومات تقدِّم للعدو التسهيلات وترسل إليه بالطعام والنفط والسلاح سرًّا وعلنًا دون وازع من خُلق أو وخْزة ضمير؟

هل شاهدتم محطات التلفزة في بلاد عربية تقف إلى صف العدو، تدافع عن جرائمه، وتبث الخبال؟

أما سمعنا بالحفلات الماجنة يراق

على جوانبها الشرف، بلا نخوة ولا اعتبار لأرواح تُزهق وبلاد تُدَكّ؟

والمال المهدور يحظى به الماجنون والماجنات بدلًا من أن يذهب إلى غزّة لسد ثغرات كثيرة؟

العدو هدد وتوعد ونشر الخرائط والبلاد؛ هل رد أحد من الحكام على "ترامب" حين طالَب بتوسيع أرض الكيان المحتل؟

ماذا فعلنا غير إصدار بيانات لا تسمن ولا تغني من جوع؟

وأخيرا نقول لمَن قدّم ومَن لمْ يقدّم: {فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره}.

قال لنا اليوم السابع

قرادشي محمد عز الدين

باحث في الحضارة الإسلامية، من الجزائر

كان السبت لليهود عيدًا أداروا فيه الكأس ليلًا طويلا، حتى طلعت عليهم كتائب المجاهدين فجْر السابع من شهر أكتوبر وسقتهم من الرصاص سجِّيلا، غصّت به نفوسهم واحترقت به قلوبهم وانقلب سرورهم ثبورًا وقضى الله أمرًا كان مفعولا.

وعاشت جماهير المسلمين في أصقاع العالم بعثةً محمدية جديدة، وفتحًا مبينًا مجيدا، طُويَت فيه الأزمنة والأمكنة لتجتمع بالقائد الأول محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وتُردِّد وراءه بصوتٍ عالٍ هزَّ الكون كلّه: «اللهُ أكبرْ، خربتْ خيبرْ»، ثم قال: «إنَّا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنذَرينَ».

إننا إذ نحتفي بهذا اليوم الأغرّ في جبهة تاريخنا الإسلامي المعاصر التي سوَّدتها أيدي الظلم والذل، نمتثل قول الله تعالى في كتابه العزيز: {وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكلِّ صبار شكور}.

وسياق الآيات في هلاك فرعون الظالم الذي {حشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى}، استعلى على الضعاف بحلفائه وجيوشه الذين حشرهم -أي جمعهم- وما يُجبى إليه من الثمرات والضرائب، فأهلكه الله في يوم مشهود، ودعا نبيُّنا الكريم والنبيُّ موسى -عليهما السلام- إلى التذكير بهذا اليوم، فلا أحد أشبه بفرعون من إسرائيل التي

حشرت أمريكا وإنجلترا وحلفاء الشيطان الظاهرين والمستترين.

وكلُّ يوم يذوق فيه هذا الكيان الظالم الإرهابي الموتَ ويَنتصر فيه المظلومون، هو يومٌ من أيّام الله المشهودة التي وجب التذكير بها والتنويه بها لما في ذلك من شكر لله على نعمه لنا، ولما فيه من بعثٍ لروح الصبر في نفوس المجاهدين المرابطين على أرضنا الإسلامية المقدسة، حتى يحصل النصر المراد؛ لذلك خُتمت الآية بـ: {إن في ذلك لآياتٍ لكلّ صبّار شَكور}.

وكذلك هو يوم السابع من شهر أكتوبر المجيد، أورى في دواخلنا العزة التي كادت أن تنطفئ، وأحيا فينا محمدًا رسولَ الله وأبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا والحسين و خالدًا والمقداد والعربي بلمهيدي وعمر المختار وعبد الكريم الخطّابي وكلّ مجاهدٍ وشهيدٍ ضحّى بالنفس والنفيس من أجل إخماد نار الظُلم، وإنارة العالم بنور الحُب والسلام والتراحم والإخاء ونصرة المظلومين.

قال لنا يوم السابع من شهر أكتوبر: إنّ الأمل في تحرير أرضنا الإسلامية وإعادة أمجادنا قائم لَمّا يَسقط، وإنّ الظلم مهما علا وتجبر فإن للحقّ وأهله شوكة من الله في حلقه.

قال لنا يوم السابع من شهر أكتوبر: إنّ موازين القوى البشرية غير الموازين الإلهية التي أقيمت بالقسط والحق لنصرة المظلومين وإغاثة المستغيثين وإقامة دين الحق "دين الإسلام" في الكون.

تَلا علينا يوم السابع من أكتوبر: {إن تنصروا الله ينصركم}، و{إنا فتحنا لك فتحا مبينا}؛ فإذا بالآيات تسري في الأوصال ونعيشها واقعًا.

إننا -نحن الجيل الجديد- مَدينون للمجاهدين المقاومين المرابطين في أرض غزة العزة، وللسابع من أكتوبر، إحياءَ الإيمان في قلوبنا بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معاني العزة والكرامـة.

وفي الأخير: مِن بدرٍ إلى الطوفان، ومن حمزة إلى هنية ونصر الله وكلّ شهيد على الأرض.. شهيد تلو شهيد.. ركب دامٍ لا ينقطع آخره عن أوّله، غرضه إحقاق الحقّ وإبطال الباطل؛ فصبرًا صبرًا أيها المُجاهدون، وإقدامًا بغَير إحجام؛ فأنتم حياةُ جيلٍ وإن خالَ العدوُّ أنّه يبيدكم.

والسلام.

الذي يحدث في غزة...

مهند السبع

كاتب وشاعر، من غزّة

الذي يَحدُث في غزّة: إقامةٌ للحُجّة

كل الكِتابات، كل المقاطع المصورة، كل المقاطع المسموعة، كلُّ ما يخرجُ من غزَّة من صراخٍ على هيئةٍ مصوَّرةٍ أو مسموعةٍ أو مكتوبة، ليسَ لإخبارِ الحالِ ولا وصفِ المقال.. كلُّ ما يخرجُ من غزّة هو حجةٌ قامت على كلِّ نفسٍ تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله.. الحجّة قامت وانتهى.

أمَّا بثُّ الحزنِ والوجع، فقد حذونَا حذوَ يعقوب -عليه وعلى رسولنا السَّلام-: {إنَّما أشكو بثي وحزني إلى الله}، ذلك أنَّ الله وحده مَن ليسَ لديه وسادة يرى نشرةَ الأخبارِ ثُّم ينام!!!

نعلمُ أنّنا مجرد أرقامٍ لديكم، ونعلم أنَّكم كذّابون حين تقولون عكسَ هذَا، لأنَّه ما كانَ لأحدكم أن ينامَ لو أنَّ في بيته صنبورًا معطَّلًا يرشحُ المياه، لكنْ لأنَّ صنبورَ الدماءِ ليسَ في بيتكم ولا في خاصّة أهلكم، ولأنَّه ليسَ قضيتكم.. تنامون..

نعلمُ أيضًا أنَّه ليس لدمائنَا لعنة كما الدم السوريّ، لأنَّنا تعاونَّا وتواطأنَا مع الشيعة على ضمائركم (المُكَيَّفة) وعلى غيرتِكم (المُعلَّبة)، لا وقتَ لمَوتِكَ أيُّها الفلسطينيّ، ولا أنتَ أيُّها المصريُّ المحروق المعدوم ساجدًا في

صلاة فجرك، لا وقت لغربة السودانيّ، لا وقتَ للزّنازين العربية المُتخَمةِ بعُلماءِ المسلمين، أعطوا "المايك" لِشَماتةِ السُوريّ..

على أيّة حال، أفْلام الكرتون الّتي تُشاهِدونَها على "الجزيرة" وعلى غيرها من الفضائيات، شخصيّاتُها حقيقيةٌ، الفيزياءُ فيها حقيقيةٌ، والجاذبية تعملُ بشكلٍ يدعو إلى القرَف.. والّذي يَسقطُ يُميتُ أو يَموت، والّذي يَموت لا يَعود..

الذي يَحدُث في غزّة: حربٌ على الذاكرة

قصف البيوتُ عمليًا هو تحويلُ البيوتِ -وبِالتأكيد الشَّوارعَ والمُدن- إلى كائناتٍ مفترِسةٍ مُخيفةٍ وبشعةٍ، بغرضِ ترويع الذَّاكرة، إنَّه عمليةُ انقلابٍ واضحةٍ وكاملةٍ على عرشِها.

- أنت تقول أشياءَ لا أفهمها.

اسمع -باختصار-: البيت المقصوفُ والشَّارعُ المهجَّر والمدينةُ المهدَّمة المخرَّبة هو سلوكُ تركيعٍ وإذلالٍ لقدرةِ الذَاكرةِ على إعادةِ الأشياء وبعثِها، وحصارٌ لها بكلِّ هذا الموتِ والرُّكام، فهي وإن كانتْ تستطيعُ أن تبني بيتًا مقصوفًا أو تُحيي عزيزًا غاليًا، لكنها لن تستطيعَ بحالٍ أن تُعيدَ مدينةً كاملةً بكلِّ تفاصيلها من بيوتٍ وناس، وههنَا الخطر.. الذّاكرةُ أصلًا تتغذى على التفاصيل.

- إذنْ هي عمليةُ تجويعٍ لها أيضًا!؟

طفلٌ ذكيٌّ هههه.

نعم يمكنكَ قول هذا. هذا خطيرٌ حقًا. نعم خطير جدًا على الذّاكرةِ الفردية.. وهُنا تأتي الحاجةُ الملحَّةُ والضروريةُ إلى الذّاكرةِ الجماعية، فهذَا الخرابُ قاتلٌ وحتميٌ لذاكرة الفرد، ولا نجاةَ منه إلا بذاكرةٍ جماعية.

- "أوبس".. أخفتني.

لا تخفْ، للذاكرةِ أيضًا وسائِلها للدفاعِ عن نفسها.

ما يحدثُ في غزَّة الآن مِن حربٍ على كلِّ ما هوَ ثابتٌ..

- تقصد "متحرك"!

هههه، لا، بل قصدتُ "ثابتٌ" أيُّها الطفل الذَّكي.

- كيف؟!

الحروبُ لا تستفزها الأشياء المتحركة. ما يرعبها حقًا هي الأشياءُ الثَّابتة، لذلكَ أولُّ ما يفتحُ شهيتها على الخراب هي "البيوت"، لأنَّ البيوتَ معاقلُ الذَّاكرةِ، **والذّاكرةُ بطبِيعتها مُقاوِمَة.**

لذلك وإن كانت الأشياءُ المتحركةُ صعبة الاصطياد فإنَّها سهلة التدمير، وهذا الفرقُ الواضح بين ما هو متحركٌ وبين ما هو ثابتٌ، ذلك أنَّ الأشياءَ الثابتة وإن كانتْ سهلةَ الاصطيادِ فإنَّها عصيةٌ على التَّدمير.

لا تنسَ أيضًا أنَّ الذاكرةَ لا يمكن بحالٍ محوُها أو حرقها أو تدميرها أو سحقها، لكنْ يُمكنُ تخويفها.

- تخويفها؟!

نعم تخويفُها؛ فقصفُ بيتٍ -مثلًا- ليسَ الهدفُ الأساسيُ منه قتل مَن فيه، فالموتُ نِسبيٌ في هذه الحالة واحتماليٌ جدًا، لكنْ الخوفُ أساسيٌ وحتمي، ببســاطة.

*****

اللّٰهُمَّ انقطع الرجاءُ إلّا مْنك، وخابتْ الآمال إلّا فيك، وانسدَّت السبُل إلَّا إليك، يا غياث المَلهوفين، يا أمانَ الخائفين، إنَّ لنا أهلًا بغزّة يُطحنونَ طحنًا تحت القذائفِ والرُّكام، وما لهم من أحدٍ سِواك، فكن لهم العونَ والسَّند، كن لهم العينَ واليد، عينًا تحفظهم ويدًا تنتشلهم من فوّهات الموت، اللّٰهُمَّ لا تُشمتْ بنا عربًا ولا غربًا، واقضِ بيننا وبينهم بالحقِّ.. إنَّك أنت العزيز الحكيم.

كيف يرى الصهاينة السابع من أكتوبر؟!

محمود حسان عسكر

صحفي وناشر مصري

في خضمّ السجالات الفكرية والإعلامية التي أعقبت عملية السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، تتكشف بين الحين والآخر أصوات صهيونية جريئة تعيد النظر فيما جرى، وتحاول تفسير الزلزال الذي أصاب المؤسسة الإسرائيلية في أمنها وفكرها وكيانها السياسي.

ومن بين تلك الأصوات، يبرز الكاتب الصهيوني **أري شافيت**، صاحب كتاب (أرضي الموعودة)، فَنشَر مقالًا مطولًا في مجلة "فورين أفيرز" الأمريكية، بعنوان: (ما خسرته إسرائيل، وكيف يمكن استعادة ميزتها الاستراتيجية؟).

وقد تضمّن المقال اعترافات صريحة بعمق الأزمة التي تمر بها "إسرائيل" بعد السابع من أكتوبر، ووصفًا لما حدث بأنه **تحول تاريخي غير مسبوق** في موقعها الإقليمي والدولي.

وفيما يلي أهم المقتطفات التي تكشف كيف يرى أحدُ أبرزِ مثقّفي الكيان الصهيوني تلك اللحظة المِفصلية.

الكارثة وبدايات الانحدار:

يرى شافيت أن الكارثة التي حلت بإسرائيل في صباح ذلك السبت القاتم ليست مجرد حدث عابر، بل **واقعة ذات أهمية تاريخية**، إذ مثّلت -بحسب تعبيره-: "هجومًا على وجود ديمقراطية ليبرالية وعالمية في الشرق الأوسط"!

وأدت إلى موجة من **معاداة السامية** لم يشهد لها العالم مثيلًا منذ عام ١٩٥٤م.

بهذا يضع الكاتب الحدث في سياق حضاري أوسع من مجرد مواجهة عسكرية، فهو يراه مسًّا بأسس المشروع الصهيوني ذاته، بوصفه -كما يزعم- النموذج الغربي الديمقراطي في محيط شرقي مضطرب.

إخفاق القيادة وتخبط الحرب:

ينتقد شافيت بشدة حكومة نتنياهو التي -على حد قوله- "اختارت مسارًا مختلفًا"، إذ شنت حربًا على غزة **من دون شرعية دولية أو دعم دبلوماسي أو حتى استراتيجية شاملة**، ومارست قوة عسكرية ضخمة بلا أهداف سياسية محددة ولا نظرية واضحة للنصر.

ويضيف: حتى في لبنان، حيث نجحت إسرائيل في تنفيذ سلسلة هجمات أذلت ميليشيا حزب الله، فإنها لم تمتلك استراتيجية متكاملة، بل ظلت تتحرك بردّات الفعل لا برؤية بعيدة.

الغرق في المستنقع:

وفي تقييمه للأداء العسكري والسياسي، يعترف الكاتب بأن إسرائيل **غرقت في مستنقع غزة أكثر فأكثر**، وأهملت توضيح السياقات الإقليمية والعالمية للصراع، حتى بدا وكأنها -على غير قصد- **تعمل لصالح أعدائها**، إيران وحماس، وتسير نحو تحقيق "حلم السنوار النهائي بإشعال الشرق الأوسط بأسره".

حرب قصيرة النظر:

يشبّه شافيت الحربَ الإسرائيلية على غزة بالحملة الأمريكية في فيتنام: **قاسية، قصيرة النظر، عقيمة النتائج.** فهي -كما يقول-: رغم ما أثارته من غضب دولي، فشلَت في تحقيق نصرٍ حاسم، أو في فرض حلّ سلميّ، وكانت نتائجها واضحة:

"الناس في مختلف أنحاء العالم ينظرون إلى الحرب -الأكثر عدالة في تاريخ إسرائيل!- باعتبارها حربًا وحشيّة لا تَرحم، ومعركة غير عادلة بين جالوت الإسرائيلي وداوود الفلسطيني"!

ويتابع: بفضل مزيج من **الأخطاء الاستراتيجية الإسرائيلية، والعمى التاريخي الغربي، وآلات الدعاية للقوى الاستبدادية**، باتت إسرائيل تُرى عالميًا كـ"الشرير الإمبراطوري"، لا كدولة تدافع عن نفسها. وبدلًا من أن تُقارَن حرب غزة بالقتال الأوكراني ضدّ روسيا، يَنظر إليها الناسُ كـ"فيتنام ثانية" أو "حرب جزائرية أخرى"، أو صدًى لمعركة الحفاظ على **نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا!**

بين الردع المفقود والردع المستعاد:

يتحدّث الكاتب عن الفارق بين حملتي غزة ولبنان، فيرى أن إسرائيل **خاضت حرب غزة بتعثُّر وتخبُّط**، تسبَّبت فيه بقتل وإصابة عشرات الآلاف من المدنيين، على النقيض من حملتها الجوّيّة في لبنان التي نُفِّذت بدقة وسُرعة، واستطاعت خلال عشرة أيام فقط أن **تستعيد أهم أصولها الاستراتيجية: الردع**، لتعود في نظر الشرق الأوسط دولة هائلة قادرة على إضعاف أعدائها.

نهاية العصور الذهبية:

وفي خاتمة تحليله، يذهب **أري شافيت** إلى ما هو أبعد من النقد العسكري والسياسي، ليعتبر أن ما بدأ في السابع من أكتوبر **حدث متعدّد الأبعاد**، يمثل -في رأيه- نهاية **العصر الذهبي لإسرائيل** الذي استمر خمسة عقود، تمتّعَت فيها بتفوُّق استراتيجيّ على قوى الطغيان والتعصُّب المحيطة بها.

كما يراه نهاية **العصر الذهبي اليهودي** الذي امتدّ ثمانية عقود، بل أيضًا نهاية **العصر الذهبي الأمريكي** الذي دام ثمانية عقود من "السلام الأمريكي".

ويقول بمرارةٍ: إنّ العالَم يعود إلى الوراء؛ فالإسرائيليون يخوضون حربًا لم يخوضوها منذ عام ١٩٤٨م، والجالية اليهودية تهتز تحت ثوران كراهية لم تعرفه منذ الهولوكوست.

خلاصة المَشهد:

كشفت هذه المقتطفات من مقال أري شافيت حجمَ **الزلزال النفسي والفكري** الذي أحدثَه اليوم السابع من أكتوبر داخل العقل الصهيوني نفسه؛ إذْ لم يَعُد الجدل مقتصرًا على التكتيك العسكري أو الخِطاب الإعلامي، بل تعدّاه إلى **جوهر الوجود الإسرائيلي ومعناه التاريخي**. فالذي يراه شافيت نهاية عصر إسرائيل الذهبي، قد يراه غيرُه بداية مرحلة جديدة من **التحوّلات الكبرى في الوعي العالَمي تجاه "إسرائيل"**، وانكشاف صورتها الحقيقيّة أمام الشعوب.

أحداث فلسطين

د. كهلان عبد الله سلمان الجبوري

فقيه وأكاديمي وشاعر عراقي

رئيس مركز البخاري الإسلامي في مانشستر - بريطانيا

أستاذ الهندسة المدنية في جامعة أم القرى بالرياض - سابقًا

لا تحتاج الأحداث في فلسطين إلى رأيي ولا إلى رأي غيري، فهي مِن أوضح الواضحات. فالمسلمون هناك يعانون أشد المعاناة منذ خمسة وسبعين عامًا من احتلال مفروض عليهم بقوة السلاح.

احتلال فلسطين هو احتلال ديني استيطاني استئصالي عنصري، فرض نفسه بقوة السلاح المتطور الذي زوده به الغربيّون، مع دعم مادّي وسياسي وإعلامي، وكل أنواع الدعم ضد شعبٍ أعزل كان يعيش آمنًا مُسالمًا على أرضه منذ آلاف السنين.

قتَّلوا الآلاف وشرَّدوا نصف أهل فلسطين، وحبسوا نصفهم الباقي، واحتلّوا ثمانين في المئة من أرضهم وما زالوا يزحفون كلَّ يوم ليأخذوا المَزيد!

كل يوم يَبْنون المستوطنات التي يسكنها المتطرّفون!

ويهينون الرجال والنساء والأطفال ويقتلونهم، ويهدمون البيوت على رؤوس ساكنيها، ويهدمون المُستشفيات والمدارس والمساجد والجامعات.

ويمنعون النشاط التجاري والصناعي والزراعي والصيد وكل أسباب الكسب المشروع، ويريدون أن يعيش الشعب الفلسطيني عالة على

مساعداتهم المُغرضة.

هدموا مطارهم البسيط، ومنعوهم من بناء ميناء صغير، وهدموا محطات الكهرباء، وسلكوا معهم سبل الإبادة والإذلال، **حتى قال رئيسهم: "يريدونني قتيلًا أو أسيرًا أو طريدا، وأنا أقول: بل شهيدًا شهيدًا شهيدا" وهو يعبِّر بذلك عن الجميع.**

لم يتركوا لهم خيارًا غير الموت، وإذا فرض الموت على أي شعب فلن يختار سوى الموت بكرامة، فكيف بشعب مسلم عزيز يعيش في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس. وقد قال الله تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّه}.

ولا يَحتاج مَن يُدافع عن نفسه ودينه وعرضه وماله إلى القوَّة المُكافئة للعدو، بل يدفع بما يستطيع حتى لو قُتل، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" [رواه البخاري ومسلم].

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللهُ-: "يُقَاتِلُ عَنْ مَالِهِ، وَلَوْ دِرْهَمَيْنِ". فكيف بالدفاع عن النفس والدين والعرض؟!

وهم منصورون إن شاء الله، طال الزمان أم قصر، لا يضرهم مَن خالفهم ولا مَن خذلهم، كما قال رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأْوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: "بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ" [رواه أحمد].

والواجب على كل مسلم نصرتهم بما يستطيع، كما قال الله تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

والله أعلم.

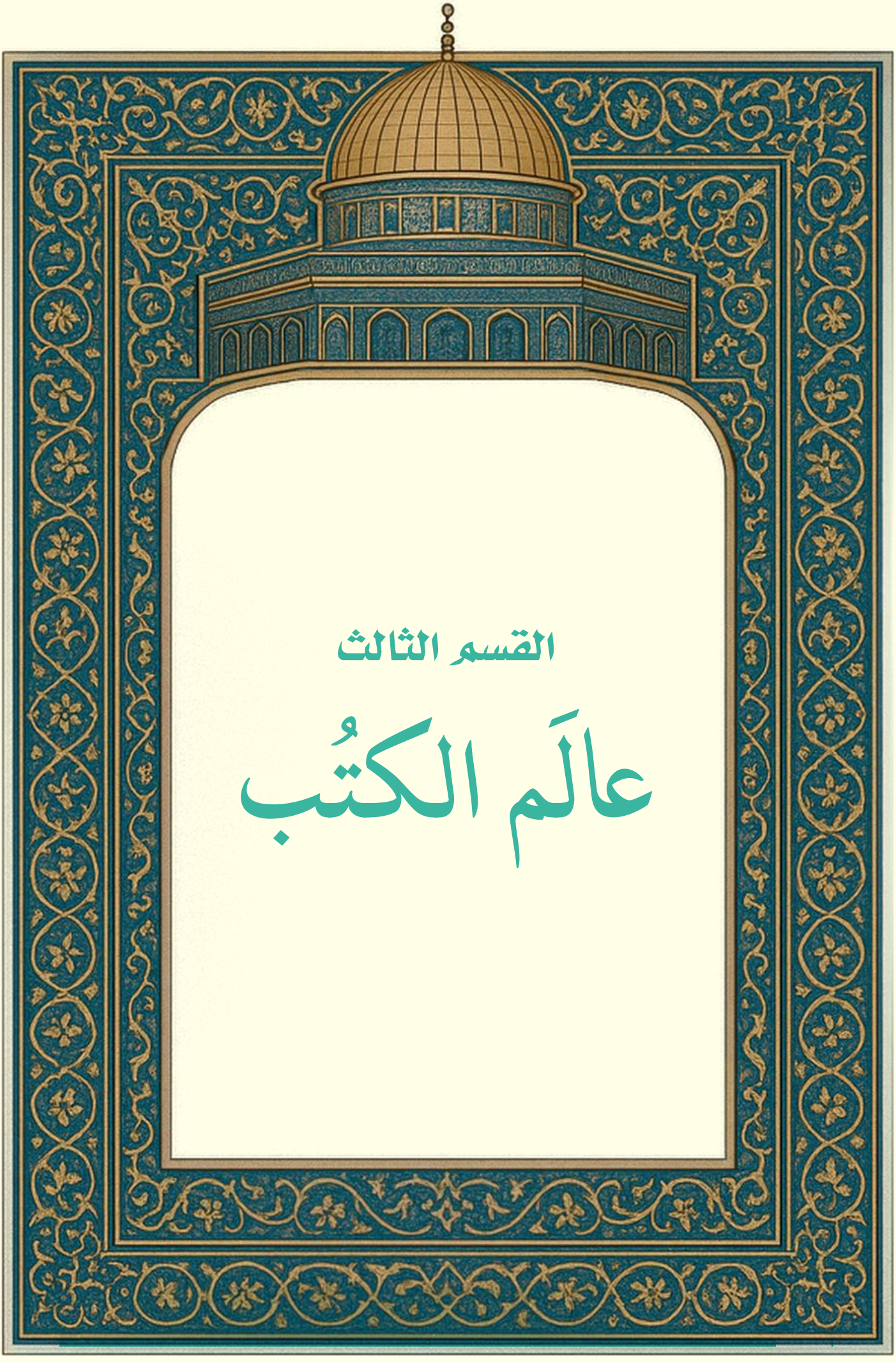

القسم الثالث

عالَم الكتُب

أردتُ أنْ أكتب مراجعةً أو حتى سطورًا قليلةً تؤرخ لقرائتي رواية "عائد إلى حيفا"، لكنني لم أجد كلمات تعبر عما أريد قوله، أو بالأحرى، لم أجد ما أقوله أصلًا، وكأنَّ كلمات "غسان كنفاني" أخرستني، كما هي العادة. وفجأةً، فطنتُ إلى أنَّ هذه هي نقطة قوة "غسان": قدرتُه على صدمِ القارئ وتشتيت أفكاره، بحيث ينسى نفسه والعالَم مِن حوله، ولا يركز إلا على كلماته وما يكتبه.

لكنْ، وكما هي العادة، لم يَكنْ عليَّ سوى أنْ أبدأ حتى يغدو قلمي فيَّاضًا، أو بالأحرى، لم يكن عليَّ سوى أنْ أضغط على بعضِ الحروف، حتى تفيض الشاشة بالكلمات والأفكار.

(كنتُ أتساءَلُ فقط.. أفتِّشُ عنْ فلسطين الحقيقية.. فلسطين التي هيَ أكثرُ مِنْ ذاكرة، أكثرُ من ريشةِ طاووس، أكثر مِنْ ولَد، أكثر منْ خرابيش قلم رصاصٍ على جدارِ السُّلّم. وكنتُ أقول لنفسي: ما هي فلسطين بالنسبة لخالد؟ إنه لا يعرف المزهرية، ولا الصورة، ولا السُّلّم ولا الحليصة ولا خلدون، ومع ذلك فهي جديرةٌ بالنسبة له بأنْ يحمل المرءُ السلاح وأنْ يموتَ في سبيلها. وبالنسبة لنا، أنا وأنت، مجرد أن نفتّش عن شيء تحتَ غبارِ الذاكرة، ثم ننظر

ماذا وجدنا تحتَ ذلك الغبار؟ غبارًا جديدًا أيضًا! لقد أخطأنا حين اعتبرنا أنَّ الوطن هو الماضي فحسب، أما خالد فالوطن عنده هو المستقبل، وهكذا كان الافتراق، وهكذا أرادَ خالد أن يحمل السلاح. عشرات الألوف مثلَ خالد لا توقفهم الدموع المغلولة، لرجالٍ يبحثون في أغوار هزائمهم عن حطام الدروع وتفل الزهور، وهم إنما ينذرون للمستقبل، ولذلك هم يصححون أخطاءنا، وأخطاء العالَم كلّه).

في هذه الرواية القصيرة، التي لا تتجاوز الثمانينَ صفحة، نرافق "سعيد" وزوجته "صفية" في رحلةِ عودتهم إلى "حيفا"، بعد غيابٍ قسرِيٍّ دام عشرين سنة عقبَ حرب سنة ١٩٤٨م.

إنها رحلةُ عودةٍ للبحث عن الماضي، عن الذكريات، عن المنزل الدافئ، عن الحنين، وعنِ الطفلِ الضائع.

رحلةٌ ظلَّتْ مُعلَّقةً عشرين سنة وهي تحملُ في أرجائِها الندمَ والحسرة والأمل بلقاءِ الابن الضائع، لنُصدَمَ في الأخير بأنه لا شيء يبقى على حاله.

يمكن للمظهر أن يبقى كما هو حتى بعد مرور السنوات، غيرَ أنَّ الجوهر كفيلٌ بأنْ يتغيّر. فعلى الرغم منْ كونِ طريق العودةِ إلى "حيفا" لم يتغيّر عمَّا كان عليهِ منذُ عشرين سنة، ما تزال الأزقَّة كما هي، والشوارع هيَ هي، إلاَّ أنَّ الإنسان قد تغيّر. كيف لا، وهو يعيش مع المُحتَلّ؟

في هذه اللحظة، يَفطنُ "سعيد" أخيرًا إلى الحقيقة، وهي أنَّ الوطن، فلسطين، هو (أكثر منْ ذاكرة، أكثر منْ ريشة طاووس، أكثر منْ ولد، أكثر من خرابيش قلم رصاص على جدار السُّلّم). إنَّ الوطن ليسَ مجرَّدَ ذكريات منَ الماضي، الوطن هو المستقبل.

"أتدرين ما هو الوطن يا صفية؟ الوطن هو ألا يحدُث هذا كلّه!".

يعاتب "دوف" والده البيولوجي على تركه له وتَخلِّيهِ عنه. لكنَّ "سعيد" يتنبأُ

بكلمات ابنه الجارحة قبل أنْ ينطق بها، فيندمُ متأخِّرًا على رحيلهِ وزوجته، لم يكنْ عليهما ترك "حيفا"، والمنزل و"خلدون"، ذلك أنَّ "حيفا" الآن تُنكِرهم، خلدون ينكرهم، والشوارع والأزقة والمنزل أيضًا.

يشكّلُ منزل "سعيد" الذي احتلَّهُ كلٌّ منْ "إيفرات" و"ميريام" رمزًا مصغّرًا عنْ "فلسطين". المَنزل هو فلسطين، و"ميريام" وزوجها هما المُحتَلّ، أمَّا "خلدون"، فهو ذلك النموذج مِنَ الجيل الجديد مِنَ الشباب، تلكَ الفئةُ القليلة التي تَرضخُ للاحتلال، بلْ وتسعى لأنْ تُصبحَ منه وتتماهى معه.

يبقى "سعيد" وهو الرجلُ الذي يَجرُّ وراءَهُ خيباتِ الندم، الندم على التخلي عن ابنه عشرين سنة، ثم الندم علل عدمِ السماحِ للثاني بحملِ السلاح. في النهاية، يُدركُ "سعيد" الحقيقة، وهي أنَّ ما أُخِذَ بالقوّة لنْ يُستردَّ إلّا بالقوّة، وأنَّ الحربَ هي وحدها الكفيلة بإخراج "ميريام" و"دوف" منْ منزله. الحربُ هيَ الوسيلةُ الوحيدة لإخراجِ المحتَلِّ منْ فلسطين.

وهكذا، تبقى هناك حقيقةٌ واحدة أكيدة في نظرِ "غسان": الإنسان هو قضية. أوَلَيس هذا ما قاله "دوف" نفسه: (إنَّ الإنسان قضية)؟

حسنًا، قد يكون مُحقًّا، الإنسانُ فعلًا قضية. لكنْ أيَّةُ قضيَّةٍ هو بالضبط؟ هذا هو جوهر الأمر.

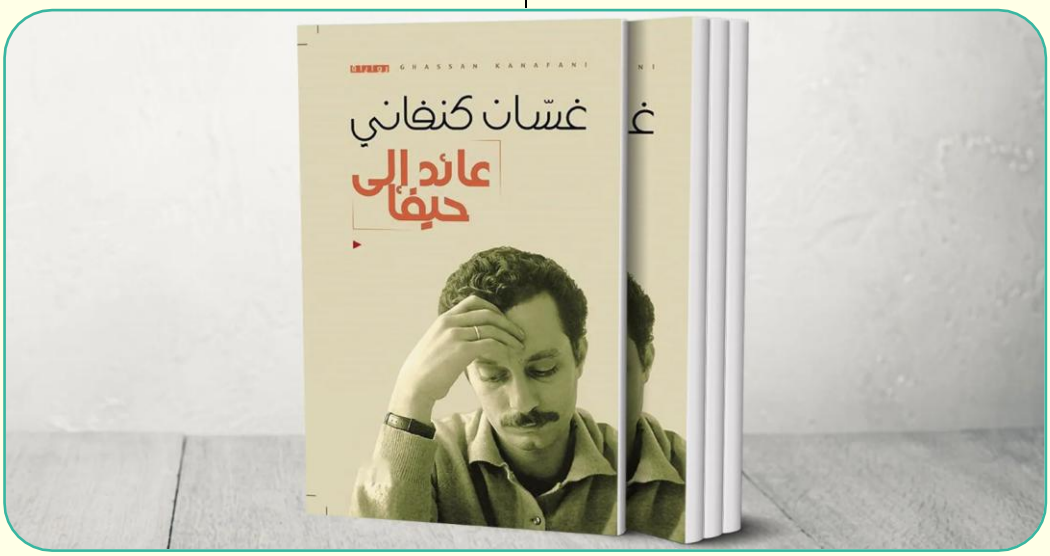

مراجعة رواية الشوك والقرنفل

أسامة فاضل

باحث في التاريخ، من العراق

في عام ١٩٨٨م يُقبَض للمرة الثالثة على الشاب **يحيى إبراهيم السنوار**، مِن قِبَل الاحتلال الصهيوني، ويُقدَّم للمحاكمة في محكمة عسكرية، حيث حكمت عليه بالمؤبّد أربع مرات.

قَبْل هذا الحدث ببضع سنوات يقترح الشاب السنوار على شيخه أحمد ياسين تأسيسَ جهازٍ أمنيّ يُعنى بحفظ الأمن الداخلي، وتحديدًا: ملاحقة الخونة والمتعاونين مع الصهاينة.

يتمّ تأسيس الجهاز الأمني، ويُطلَق عليه جهاز (مجد)، ويبدأ بملاحقة الخونة، وينفذ عدة أحكام للإعدام بحق مَن ثبتت خيانتهم.

على إثر ذلك يُقبَض على السنوار ويُحكَم بالمؤبَّد.

وفي عام ٢٠٠٤م، بعد ستة عشر عامًا من الاعتقال، يَكتُب السنوار مسوّدة رواية، بمساعدة العشرات من زملائه، ليتم تهريبها بصعوبة، وتُنشَر بعنوان: **"الشوك والقرنفل"**.

يسرد السنوار من خلال روايته هذه قصة فلسطين التي عايشها منذ أحداث النكسة في عام ١٩٦٧م -حين كان طفلًا آنذاك-، وصولًا إلى الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

لا أعتقد أنّ من حقّنا تقييم الرواية من الناحية الفنية والتعامل معها كنُقّاد مثلًا. **فهذه الرواية وثيقة تاريخية** سعى الكاتب من خلالها إلى إيصال صوت

شعبٍ يرزح تحت وطأة احتلال سادي، وتقديم جزء ممّا عايَشَه الفلسطينيون من معاناة، بداية من إعلان قيام الكيان الصهيوني، مرورًا بحروب وانتفاضات عدّة، وصولًا إلى **طوفان الأقصى** الذي أثبَت أنّ الشعبَ الفلسطيني ما زال على العهد صابرًا محتسبًا مقاومًا رغم الخذلان واجتماع الصديق قبل العدوّ ومناصبته العداء!

بأحداث حقيقية وشخصيات خيالية (أو غير خيالية) يصنَع السنوار حكايته من خلال عائلة آل صالح الذين أُجبِروا على مغادرة مدينتهم والسكن في مخيم في خان يونس بغزّة.

مع غياب الأب تتكفل الأم بالصغار، ليكملوا دراستهم، وينضموا إلى المقامة علنًا أو سرًّا.

وتبدأ حكايات المجاهدين التي يَعدُّها بعض القرّاء خياليةً من شدّة التضحيات التي قُدِّمَت آنذاك من جميع فئات المجتمع.

انقسام الفلسطينيين بين (فتح) و(حماس) وإيثار البعض أسلوبَ التفاهُم الذي نتج عنه اتفاقية أوسلو المُذِلّة، وتَفضيل بعضُهم القتالَ والصِدامَ المُباشر، إضافة إلى العمليات الاستشهادية و... إلخ، يَصنَع السنوار ملحمةً فلسطينية تستحقّ أن تُروى.

أُفرِج عن السنوار في عام ٢٠١١م، وعُيِّن رئيسًا للمكتب السياسي لحماس في غزّة عام ٢٠١٧م، ورئيسًا للمكتب السياسي لحماس عقب استشهاد القائد إسماعيل هنية في ٢٠٢٤م، وما لبث أن ارتقى شهيدًا بعدَه بأشهُر قليلة في مواجَهة مباشرة مع الكيان الغاصب، ليُعلّمنا معنى أن تكون قائدًا، ورجُلًا -قبل ذلك- في زمَنٍ عزَّ فيه الرجال.

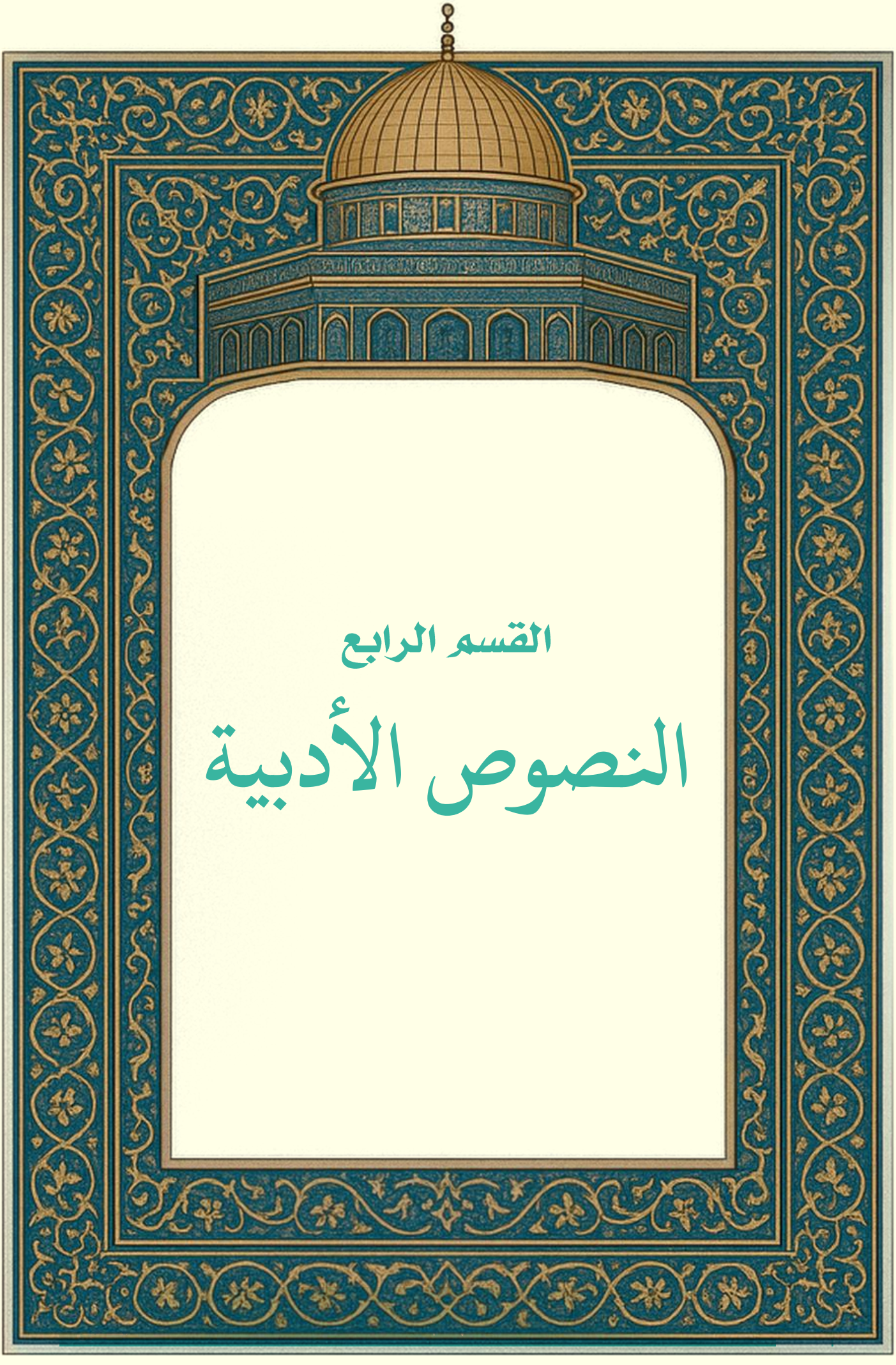

القسم الرابع

النصوص الأدبية

سلامًا فلسطين

د. وليد الصرّاف

شاعر العراق

سلامًا فلسطينُ عِمّي سلاما ... سنُهديكِ في كلّ حربٍ سلاما

مِن النبع أخفاهُ زيتونُنا ... وأذهلَنا عنهُ ضَوع الخُزامَى

ومِن شُرفاتٍ على النهر وسْنَى ... تكشُّ الصقورَ وتُؤوي الحَماما

ومِن كـلِّ مَـقـهًى بـهِ الـزَّا ... رُ في كلِّ ركنٍ أثارَ قُتاما

سلامَ العناقيـدِ والعاصريـ ... ـنَ الشّرب ما عَربَدوا والندامَى

سلامَ الخليلِ بْنِ أحمدَ أسْـ ... ـقَطَ ألفَ نِظامٍ وأرْسَى نِظاما

يُصلّي بِكُلِّ السُّيوفِ وكُلْـ ... ـلِ الرِّماحِ وكُلِّ السِّهام إماما

ويُوصي وما حانَ وقتُ الصِّدا ... مِ أنْ يَبْدأَ المُتعَبون الصِّداما

سلامَ المَنـابـرِ والخُـطَـبـا ... ءِ قدْ أغمَدوا في العَدوِّ الكَلاما

سلامَ أبي زَيد ما عاد يدعى الْـ ... ـهِلَاليُّ، أصبحَ بدرًا تَماما

وما انْكسرَ الوزنُ في بيتِ شِعرٍ ... وأُدخِل في البيت إلّا اسْتَقاما

سلامَ المَذاهِـب مُنْقسِـماتٍ ... وتزدادُ عندَ الخُطوب انْقِساما

تُكَفِّر بعضًا وتَقْتُلُ بعضًا ... إذا بَينها الخصمُ أذْكى الخِصَاما

سلامَ العروبةِ بَعدَ صراعٍ ... طويلٍ معَ الدَّاءِ تَلقَى الحِماما

قَضَتْ نَحبها إذْ أطبّاؤها زَا ... حَموا في القضاء عليها السُّقاما

وكانت على كلِّ صدرٍ وِساما ... وصارت على كل وجهٍ سُخاما

سلامًا مِن الغَضَب العَرَبيْـ ... ـي يُعصَر في النائباتِ مُداما

غدًا في المَعارِكِ نارًا علينا ... وبردًا على خيبَرٍ وسَلاما

مِن الوقتِ يَمشي بنا القَهقرَى ... ونحسب هذا الوراءَ أَماما

سلامَ السلامِ تبسَّم يُبدي ... ربيعًا ويُضمِر مَوتا زُؤاما

يَدُكُّ بُيوتًا على ساكنيها ... ويَبني لِمَن ظَلَّ منهمْ خِياما

بُيوتًا أمامَ عُيونِ الزَّما ... نِ تُغادِرُها الطائراتُ رُكاما

كشاهدةٍ فوقَ قَبْرٍ بهِ ... عميقًا ضَميرُ المَلايينِ ناما

نوائب الدهر

عبد الرحمن الحمداني

شاعر عراقي

ولأنّ النُّصرةَ واجبةٌ علَينا، فما لي غير النُّصرةِ بالكلمةِ، ولِعِلْمي أنّ هذه القِطعة ليستْ بالعالِية نظمًا، ولا الحسنة بيانًا، وأنّ صاحبَها ليس بالفحل الخنذيذ، ولا الفارس الصنديد، إلا أنه ابنُ أمَّةِ الكتُب والكَتائب، وهذه لِمَن تُغني أفعالُهم عن أقوالنا، ولكنْ عسَى أنْ يكونَ للكلمةِ أثرًا. نصَرَ اللهُ أهلَ غزَّة وربَط على قلُوبهم وسائرَ بلاد المسلمين.

نوائبُ الدهر لا تُبقي ولا تذرُ ... وعادةُ الحزن في العُشّاق يشتهرُ

يا دار سلمى وما في الربع آهلهُ ... والعين عينٌ ومنها الدمع ينهمرُ

وقفتُ فيها حزيناتٌ معالمُها ... تكاد تذرفُ لولا أنها حجرُ

ورُبّ ضبيةِ بانٍ في مناظرها ... سيوف قومي وخلف البرقعِ القمرُ

آمنت بالحسن كم أحيا مهامهنا ... وآيةُ الحُسن إحياءً لمن قُبروا

فرشفة الريق للألبابِ مسكرةٌ ... تُرجى ورودًا ولا يرجى لها صدرُ

وما عبوسٍ بيوم الروع مدّرعٍ ... يطالب الثأر فيه الحقدُ يستعرُ

أعد للحرب (بسم الله ناصرنا) ... وفي اليمين يُرى الصمصامةُ الذكرُ

وجرَّ للكفر والأيامُ شاهدةٌ ... سحائبَ العزّ فيها الموتُ لا المطرُ

وأشهرَ السيفَ فيهم يبتغي وطرًا ... فلا وقوفَ إلى أن يقتضى الوطرُ

وما الملوك إذا قيسو بهمّتهِ ... إلا كلابًا ولكن جلدها بشرُ

وما اليهود وقد راموا محاربةً ... إلا قبورًا وفي (إيلات) تحتفرُ

يشبّ فيهم لهيبًا من مدافعهِ ... أو الفؤاد فما فرقٌ لمَن وتِروا

ويترك الأرض أطلالًا مخرّبةً ... أحلى إلى العين من قصرٍ بهِ قصِروا

يخطّ في الجوّ من نفّاث مدفعهِ ... أحلا وأبهر مما خطّتِ الزُبرُ

الحربُ لعبتهُ والنارُ عُدّتهُ ... ويتّقي بأسه الضرغامة النمرُ

أشدُّ من طرف سلمى حين ترفعهُ ... إلى الأنام عليلًا أو بهِ حَورُ

الحقُّ ظافِر

عدنان آل ناصر

شاعر عراقي

اِضْـربْ فَكَفُّـكَ قـاهِرْ ... واللهُ لِلْمَظْلُـومِ نَـاصِـرْ

يا شِبْلَ غَزَّةَ دَاوِهِمْ بِالمَوْ ... تِ واعْلُ رُؤوسَهُمْ بِسَنَا البَواتِرْ

أَذْهَـلْتَ إسْـرَائِيلَ لَـمْ ... يَخْطُرْ لَهُم أَبَدًا بِخَاطِرْ

قَدْ صُلْتَ بِالحَقِّ المُدَجْـ ... ـجِ فَاتِحًا كُبْرَى المَعَابِرْ

سَـطَّرْتَ مَلْحَمَةً تُـذِيْـ ... ـقُهُمُ لَظَىً وبِلَا مَقَابِرْ

فَدَهَمْتَ كُلَّ حُصُـونِهِمْ ... أَنَّى لَهُمْ تغنيهمُ عنكَ السواترْ

فَتْحُ الفُتُوحِ قَدْ ابْتَدَا ... والنَّصْرُ تَصْنَعُهُ الأَكَابِرْ

هذا خَمِيسُـكَ وهُوَ يَخْـ ... ـرِبُ خَيْبَرًا ويَعُودُ ظَافِرْ

وأَتَى النَّذِيْرُ يَسُوؤُهُمْ ... مَنْ سَيَهْرُبُ؟ مَنْ يُغَادِرْ؟

هَا قَدْ عَلَاهُمْ (صَقْرُنَا) ... وسَتَنْهَشُ الجُثَثَ الكَوَاسِرْ

ومِنَ (الزُّوارِيْ) يَهْطِلُ الرَّشْـ ... ـشَاشُ يَفْتِكُ بِالخَوَاصِرْ

أيْنَ "النَتِنْ يَاهُو" يُغِيْـ ... ـثُ جُمُوعَهُمْ بَلْ أَيْنَ عَازِرْ

أيْنَ الّذي بَاعَ القَضِيْـ ... ـيَةَ عَابِثًا فَارْتَدَّ خَاسِرْ

ظَنَّ النَّجَاةَ مَعَ اليَهُو ... دِ فَبَاءَ بِالتَّطْبِيْعِ صَاغِرْ

مَـا اهْتَـزَّ شَـارِبُهُ وفِيْ ... أَذُنَـيْـهِ أَنَّاتُ الحَرَائِـرْ
جَـــاءَ الحِسَـابُ فَلَنْ ... تَحْمِيْكُمُ مِنَّا عَسَـاكِرْ
(طُوفَانُ أَقْصَانَا) طَغَى ... هَلْ يَا تُرَى تُغْنِيْ البَوَاخِرْ
يَا جُنْدَ إِبْرَهَةٍ وفِيْلُ الظُلْـ ... ـمِ يَرْجُفُ وهوَ حَائِـرْ
وحُشُـودُ فِرْعَونَ الّذيْ ... أَضْحَى لِجُنْدِ البَغْيِ حَاشِرْ
وبِضَرْبَةٍ مِنْ كَفِّ مُوسَى ... صَارَ مَخْذُولًا وخَائِرْ
غَاصُـوا بِوَحْـلِ هَزِيـمَةٍ ... والخِزْيُ مَلْبَسُ كُلِّ غَادِرْ
اليَوْم سَلْخُ جُلُودِكُمْ ... مِنْ رَأْسِكُمْ حَتَّى الحَوَافِرْ
يا أُمَّةَ الأَقْصَى المُبَا ... رَكِ هَذِهِ أُولَى البَشَائِرْ
مِنْ فِتْيَةِ (الأَنْفَالِ) و(الشُّو ... رَى) و(أَعْرَافٍ) و(فَاطِرْ)
ومَسَاجِدٍ تَتْلُوْ (النَّبَا) ... و(الرَّعْدُ) و(الإِسْرَا) و(غَافِرْ)
يـا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُـلُوا ... بَطْشِيْ سَيَحْطِمُ كُلَّ مَاكِرْ
سَـتَعُودُ لِلْعِزِّ الجُمُـو ... عُ تَهُزُّ بِالحَقِّ المَنَـابِرْ
اللّهُ أَكْبَرُ (نَحْنُ جُنْدُ مُحَمَّدٍ) ... بِنَذِيْرِنَا ضَجَّتْ حَنَاجِرْ
سَـنَصُـخُّ آذَانَ الزَّمَـا ... نِ فَلَا أَوَائِلَ أَوْ أَوَاخِرْ
سَـنُعِيدُ أَمْجَـادَ الأُلَى ... ويَعُودُ عَمَّارٌ ويَـاسِـرْ
هَذِيْ الفُتُـوحُ مَلَاحِمٌ ... يَرْتَجُّ فِيْهَا نَبْضُ شَاعِرْ
فَتَفِيـضُ أَدْمُعُ حَرْفِهِ ... فَتَغُصُّ بِالنُّظُمِ المَشَاعِرْ
بَـغْـدَادُ هَبَّ شَـبَابُها ... والجُرْحُ تَحْتَ الجُرْحِ غَائِرْ
مَـا أَنْ تَنَـادَيْـنَا نَمَـا ... مِنْ نَزْفِـنَا مِلْيُونُ ثَائِرْ
هَـذَا نِدَا الأَقْصَى يَرِنْـ ... ـنُ فَهلْ تَصْحُو الضَّمَائِرْ
ولْتَنْصُـرِ الأَقْـصَى قَـوَا ... فِيْـنَا وتَزْخُـرُ بِالمَفَـاخِرْ

في الذكرى السنوية لطوفان الأقصى

د. محمد غسان الخليلي

شاعر سوري

تعاودُني الذكرى وما أروعَ الذكرى ... وإنَّ جماعَ الأمرِ يستحوذُ الفكرا

وفي قومِنَا شـرخٌ وفي الناسِ فُرقةٌ ... أراجيفُ مِن لَأواءَ ما يَقصمُ الظَّهرا

وفي أمتي جرحُ التَّخالفِ مثخَنٌ ... ودامٍ وقد أصمى بوجـدانِنَا بتـرا

يهودٌ وما في الكونِ شرٌ كشرِّهمْ ... وعُرْبٌ بكهفِ الذلِّ قد عاقروا الذُّعرا

وضاقتْ بنا الأَرضونَ حيرى تلوكُنا ... وجندُ "نتنياهو" يسومُونُنا العُسرى

أيا إخوةَ الإِســلامِ والخَطبُ بالغٌ ... وإنَّ الذي نُرمَى بهِ لمْ يَعدْ سـرَّا

شَكاةٌ إلى الرحمن أُزجي إهابَـها ... لعلَّ رشيدَ القومِ يلهمُنا أمرا

ويا إخوةَ الإيمانِ والخُلْفُ قاتلٌ ... علينا برَصِّ الصفِّ كي نهزمَ الكفرا

ولا فوزَ للإنسانِ إذْ جانبَ الهُدى ... فرصُّ صفوفِ القومِ مسألةٌ كبرى

ألا فَلْـنـواجهْ بالتوحُّـدِ خَـطـبَنَا ... ألمْ يكفِ تقطيعًا لأمَّتِنَا الحيرى؟

يهودٌ ومَن أعدَى لدَى الخلْقِ منهمُ؟ ... وقد بلغوا في الشرِّ ما لم تُحِطْ خُبرا

وقد قتَّلوا رُسْلًا كرامًا وأفسدوا ... وكمْ أوقدوا للحربِ من كيدِهِم ضُرَّا

تُؤرّقُني الذِّكرى وقد حلَّ موعدٌ ... لميلادِ قومي ويحَ هاتيكمُ الذكرى

على أنَّ ذكـرانا قريبٌ صـباحُها ... فأنـظُمُها شِـعرًا.. فتَنشـرني نَثـرا

إلى جباليا وشهدائها

د. كوكب البدري

شاعرة وأكاديمية عراقية

حين ارتقى نحو العُلا شهداؤها ... وتواردت تروي الرّؤى أنباؤها

أو أحرقت نارُ المخيَّمِ غاصبًا ... أو زغردت؛ تنعى الشّهيدَ نساؤها

عاتبتُ قلبي في الصّلاة ألومُهُ ... لومًا عتيًّا إنْ طغتْ ظَلْماؤها

لأبُثّ من تحت القيود قصيدةً ... تأسى لراياتٍ مضت أصداؤها

تأسى لفتيانٍ قضوا في نبضةٍ ... من عشقِ أرضٍ بوركَت أثداؤها

لأظَلَّ يَجرحني الصّدى في غربةٍ ... لِمَحابري؛ فتردّدَت أصداؤها

لا تقربوا سورَ المخيَّم واحضنوا ... أضلاع أمٍّ مُزِّقَت أشلاؤها

لا تهجروا أرضَ المخيّم وابعدوا ... عنها العِدا إنَّ الثّباتَ عزاؤها

بل فاسجدوا بين الرّياحين الّتي ... قد جالدتْ، فتخلّدَت أسماؤها

هم أبدلوا دمعَ الأراملِ سجدةً ... حين استُفِزّت بالظُّبى هيجاؤها

هم أبطلوا سحر الأراذل واشتروا ... جنّاتِ خُلدٍ أزلِفتْ أفياؤها

هم قاتَلوا كالخالدينَ وقُتِّلوا ... مُستبشرينَ لأنّهم أبناؤها

مُستبشرينَ بأنّهم عَقدوا اللِّوا ... ءَ لِأُمّةٍ، بل إنّهم شُفعاؤها

هم يحمدون اللهَ أن قد ودّعوا ... بطلًا يقاومُ ما دهَتْ دَهْماؤها

فبهم تعمَّدت الجوارح تنتخي ... وبهم يفيض على العباد رجاؤها

وبهم تنكبَّت العزائم رمحها ... وتلثَّمت حيث اللّثامُ رداؤها

وتلعثمَت لغةُ الشّعوب حزينةً ... يبكي على الشرف المضاع حياؤها

وبكلِّ حرفٍ خاذلٍ متفرّجٍ ... هجَرَ البلاغةَ في الوغَى شُعراؤها

بل ناحت الأعرابُ تمتهنُ الهوى ... يسعى إلى صمتِ القبور غثاؤها

بل إنّهم ظنّوا جباليا تُشترى ... وتباع في (ليل الخنا) أسماؤها

أوَلمْ يروا أنّ البطولةَ مهرُها ... ودماءَ مَن عَشِقَ العُلا حِنّاؤها

ضفائري

رشا عادل بدر

شاعرة مصرية

لا شيء إلا نزيف الداء والبلوى ... على انعكاس حياة تحتسي الشكوى

لا شيء إلا دموع ترتدي مُقَلًا ... وفي احتواء دموعي صرتُ لا أقوى

وفي بحار الأسى قد أُغرقَتْ مُدُني ... وحينما متُّ ظلَّتْ قصّتي تُروى

ضفائري منذ بادي الخلق تعرفها ... أرضُ البطولةِ لمّا أينعَت تقوى

الأرضُ أرضي وشمسُ الكون تحملني ... على كفوف السَّما كي ألثُم الحلْوى

العَيشُ مُرٌّ وتاريخي يُمجِّدُني ... أنا الّتي زُرتُه في "وجههِ الأسْوا"

أتكتبُ الشعرَ؟ هلْ حرفٌ يسطِّر ما ... قد كان أو كنتُه إنْ قلتَ ما الجدوى؟

لأنّنا في رحاب الله تحملُنا ... تلك المَلائكُ حتّى جنّة المَأوى

فلا تقُل إنّنا متنا مجازفَةً ... ولْتسجدوا اليومَ حتّى سجْدةً سهوا

تجارةُ اللهِ لا تحتاجُ بَرهَنةً ... وأنتمُ في رِبَاطِ المَنّ والسَّلْوى

أمُستراحٌ منهُ؟!

عمر علـواش

شـاعرٌ جزائريّ

قُلْ ما تشاءُ ولكنْ أنْصِفِ الرَّجُلا ... قلْ كيفَ ماتَ وصِفْ للنَّاسِ ما فعَلا

وهل تَوَارَى وسهمُ الموت يطلبهُ ... أم قال للموت يا مرحى وألفُ هَلاَ

وكيف قامت له الدنيا فأقعدَها ... بعزمهِ فغدا في عزمهِ مثَلا

محاصَـرٌ، كلُّ شيءٍ كان يرصُـدهُ ... برًّا وبحرًا وجوًّا حلَّ أو رحَلا

وألفُ ألفِ رقيبٍ ليس يخطئهِ ... لكنَّ ربّك أرخى فوقهُ سُدُلا

قالوا توارى عن الأنظار في نفقٍ ... واستوطن الأرض لا يبغي بها بدَلا

قالوا قضى نحْبَه في إثْر قاصفةٍ ... هوجاءَ دَكَّتْ عليه السهْل والجبَلا

قالوا وقالوا وعينُ الله تحرسهُ ... من كل سوءٍ إلى أنْ أكملَ الأجَلا

فلاحَ كاللّيثِ لا يَثْنيهِ عن هدفٍ ... خوفٌ وهلْ خافَ ليثٌ قطُّ أو جفَلا

يَرمي ويُرمَى ولَمّا استيأسوا قذفوا ... بما لديهم ففاضَت روحهُ وعَلا

في الشهيد السنوار
تقبّله اللّه

محمد صدام السامرائي

شاعر عراقي

لِيَحيي مَصالٌ لَم يَصِلْهُ بَنو الوغَى ... بِيَومٍ وظَنّي لَن يَكونَ لهُ مِثلُ

لقد خاضَها هَيجاءَ غَبراءَ وَحدَهُ ... يُضارِبُ حتّى كَلَّ مِن سَيفِهِ النَّصلُ

وقد بَذَلَ الرُّوحَ النَّفيسَةَ، إنَّهُ ... يَطِيبُ لدى الأَبطالِ بالمُهجَةِ البَذْلُ

ولَم أَرَهُ إلَّا وقد بِتُّ رائيًا ... فتىً في جِهادِ الكافرينَ لهُ شُغْلُ

فلا زالتِ النِّسوانُ باكِيَةً لهُ ... ولا زال عنهُ في عُمومِ الورى قَولُ

حياةٌ كما تَهوى المَعالي وَمَوتَةٌ ... مَجالِسُنا مِنها إلى الحَشرِ لا تَخلو

لا تجاهر

عُمَـر السِـنَوي

رئيس التحرير

كُلُّ شيءٍ حولك الآن مُغادِرْ
كُلُّ مَن يسكنُ في وجهكَ عاثِرْ
ربّما العين تَرَى
لكنّ جفنًا مثقلًا أرخى سُدُولَه
فعليها الرانُ لا ترجو أُفُولَه
باتَت الآذانُ مِن مألوفها:
لفظُ (الإبادة)
والفمُ المنذورُ للتكبير، قد باع العبادة
كُلُّ شيءٍ فيكَ (نَدَّدْ!)
كُلُّ شيءٍ فيكَ ضاهَى:
مجلسَ الأمنِ المجمَّدْ!
فاحذر البوحَ وحاذِر أنْ تَنَهَّدْ

أنتَ إن تبكِ على غـزَّة مطلوبٌ
وإن بُحتَ فلا تنسَ المَقابِرْ
وإذا قلتَ: افتحوا للخُبز بابًا..
افتحوا تلك المعابِرْ..
قيل: هذا صوتُ إرهابٍ مجاهِر!
لا تُجاهِرْ
غزة الآنَ تُبادْ
لا تقُل شيئًا.. ولا تلعنْ حذاء
لا تصحّحْ لفظَ موتٍ..
لا تقل: "هل من رجاء؟"
أنت في الواقع باقِرْ
أنت في "المَجلس" حاضِرْ

أنت في "الهيئة" صاغِرْ

أنت بالزور، وبالعار، وبالذلّ محاصَرْ

صمتُك الآن شـهادة

صمتُك الآن شراكة

لا تُجاهِرْ

أنت مسؤولٌ، ولكنّك منزوع الضمائِرْ

أنت إنسانٌ، ولكنْ دون أن تُعلِنَ رأيًا

دون أن تَعصي الأوامِرْ

لا تُجاهِرْ

فتنةُ الجوعِ على الأبناءِ، سجّادُ الرُّفاتْ

بنتُ خمسٍ أكلتْ دمعَ الفُتاتْ

وأبٌ يبحثُ في كفّيهِ عن زهر الحياةْ

وبقايا رغبةٍ في الأمّ تحت المُهدَماتْ

هل تُشاهِدْ؟

لا تُشاهِدْ

كلُّها قد بَدَّلَتْ وجهَ الحقيقةْ

بحديثٍ عن هدوءٍ، عن سلامٍ، عن عشيقةْ!

لا تُشاهِدْ

ثُمَّ إنْ شاهدتَ، قل: (آهٍ)

ثمّ عُدْ للـ "فِلْمِ" بديلا

أو تَوجَّه نحوَ نَشرةِ الطقْسِ قليلا

وتَذكَّرْ:

أنّ هذا الجوعَ في غزّةَ عابِرْ

وسيمضي،

إنّما أنتَ ستبقى!

أنتَ قد أسهمْتَ في تلك المَجازِرْ!

إلى جنان الخلد يا هنية

د. خالد سليمان

كاتب سوري

إلى جنان الخلد يا هنيّةْ
طب نفسًا وعش عيشةً هنيّةْ
يا رجلًا منحْتَ النبل هويةْ
لمثلكَ الدموع تجري وإنْ كانت عصيةْ
مثل طودٍ شامخٍ ما هِبتَ المنيةْ
بذلتَ روحكَ في سبيلِ اللهِ هديةْ
ومشيتَ تزهو بنفسٍ رضيةْ
رمزًا ستبقى ولو قالوا ضحيةْ
فطوبى لأهل القلوب النقيةْ
قوافل الشهداء تمضي أبيةْ
لن تنتهي ولن تُمحى القضيةْ
وبلادي رغم الأسى صامدة قويةْ

يا أمةً كسيرةً ذليلةً غبيةْ
بِتِّ مركوبةً للكلِّ مطيةْ
صرتِ لا ترضين إلا الدنيةْ
ما عاد فيكِ من الإحساس بقيةْ
كبنتِ ليلٍ عن التعريف غنيةْ
ولولا رجالٌ صدقوا لمُتِّ شقيةْ
لن تفهمي معنى الدماء السخيةْ
ولن تبلغي نعل النفوس العليةْ
يا أمةً ماتت فيكِ الحميةْ!

أبو عُبيدة
يتلو خِطاب النصر!

ياسر عبده

كاتب وأديب مصري

غدًا يُنادي المنادي: حيّ على الجهاااد.. يا خيل الله اركبي!

فنمتطي المَطايا، غير راهبين المَنايا، ونُجيبُ منادي الله: يا لبيك!

نجاهد جنبًا إلى جنب مع سرايا القدس وكتائب القسام، وتَسمع الآذانُ مُلثَّمًا فصيحَ اللسان عذْب البيان يحثّ على الجهاد فنميل بعضًا إلى بعض ونتهامس، كلٌّ إلى صاحبه بالجَنب يُسائله: أليس هذا أبو عُبيدة؟ ليُجيب: لا، بل هذا أبو حمزة، ويطرب بعضنا للصوتِ الجهور والعزم الجسور في كلمات المنادي بين أصوات المدافع وهو يقول: "وإنَّه لجهاد نصرٌ أو استشهاد" فنقول: يا لجمال كلامك يا أبا حمزة! فيبتسم أحد أهل فلسطين ويقول: يا أحباب! بل **هذا أبو عُبيدة** ..

فتشتعل فينا العزيمة، ونوقع ببني صهيونٍ شرّ هزيمة، فما ينجلي الصباح إلا بنصر من الله وفتح مبين، فنُولّي وجهنا شطر المسجد الأقصى مهللين مُكبرين، ونقيم للقسّام وللمجاهدين في ساحات الأقصى منصة تكريم[1]، سيصعد عليها أمير الظل (عبد الله البرغوثي) وأبو العبد (إسماعيل هنية) وأبو الوليد (خالد مشعل) والبطل المغوار

(١) كتبت هذا قبل استشهاد كثير منهم رحمهم الله.

محمد ضيف، وأبو عُبيدة، ويحي السنوار، وأسرانا في سجون الاحتلال وكل الأبطال، وبالخلف صورة أحمد ياسين وعز الدين القسّام وعبد العزيز الرنتيسي وكل الشهداء..

سنهتف بصوتٍ جماعي: قال القائد إسماعيل.. ليُجيب هنيّة بدموع الفرح: لن نعترفَ.. لَمْ نعترف.. لَمْ نعترف بإسرائيل.

ثم ننظر إلى هذا البطل القعيد على كرسيه بقدم واحدة ويد واحدة[1] فتتملكنا الدهشة: أهذا الذي دوَّخ بني صهيون؟! فنهتف بالعزة: حُط السيف قبال السيف.. إحنا رجال محمد ضيف.

سننادي خالد مشعل: أبو خالد يا حبيب.. إحنا مَلَكنا تل أبيب!

وننادي المُجاهدات الأمهات والبنات.. لله درُكنَّ! حُزتُنَّ الشرف من كل أطرافه!

غداً.. ننثر الورود على رؤوس الأبطال الأماجد.. ونردّد وإياهم في صوت واحد: الله أكبر الله أكبر.. الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، لا إلٰه إلا الله وحده، نصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده.

غداً.. يظهر من بين القادة ذلك المُلثم فيصيح الناس: أبو عبيدة! فيبتسم القادة ويُقدّمونه ليقرأ **خِطاب النَّصر**، فيعم الصمت المكان، وتشرئِب له الأعناق والأجسام، وتصغي لحديثه الآذان، وتتوقف لسماعه أنفاس الزمان؛ فيشدو بعزة الإسلام: "الله أكبر.. سقطت خيبر" فتنهمر من خطابه دموع الفرح أنهارا، وينجلي الظلام فلا يُرى إلا نهارا.

حتى إذا فرغ من خطابه شَقَّ الصفوف رجلٌ أرهقه الفضول فيقول: "يا أبا عُبيدة! رأينا كل القادة وعرفنا اسمهم ورسمهم، إلا أنت، عرفنا كُنْيَتك وما رأينا وجهك، ولا عرفنا اسمك!" فيُميط اللثام عن وجهه ويقول: هذا رسمي، فيُسفر عن وجهٍ كالقمر، فنهتف بالتكبير.. سبحان الخالق القدير!

---

(١) كانت هذه هي المعلومة السائدة عن الحالة الصحية لمحمد الضيف قبل عملية طوفان الأقصى، فتَبَيَّنَ عدم دقّتها.

ثم يتَّحين رجلٌ آخر -لم يُشْبِع فُضوله- لحظةَ صمتٍ من الناس فيقول: هذا رسمك، فما اسمك؟ فيقول: "اسمي هو..."، فيهتف الناس: " أبو عبيدة يا حبيب.. لا تُجيب لا تُجيب". يريدون أن يبقى في ذاكرتهم "أبو عبيدة".

غدًا.. يرانا أهل فلسطين بينهم نتدثر بالحياء، ونعتذر بالخجل عن التقصير في نصرتهم؛ فيلحظون حياءنا، فيهتفون بنا: "يا إخوتنا! يا أحبتنا! ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾؛ فيزول عن صدورنا جاثوم الهموم.

غدًا.. ينادي قادةُ النصر على أهل البلاء: هلمّوا إلى التكريم..

يا أم يوسف! صاحب الشعر الكيرلي، وابيضاني وحلوا! آهٍ لو رأيتهِ يا أمّهُ في الجنة يرتع ويلعب، قد حُزتم به الحُسنيين "النصر والشهادة".. فتغمرها الفرحة ونشوة النصر.

ويقال: يا أبا يوسف! ما كنتَ تقول يوم رأيتَ ولدك مُسجّى بدمه؟ فيضع يده على صدره ويقول من أعماق قلبه: الحمد لله.. فتتنهد الزوجة الصابرة وتردد خلفه: الحمد لله!

ثم يُنادَى على ذلك الشيخ الكبير الذي كان يبكي بحرقة حين قُصف داره ويقول: "دارنا راح، وين بدنا نقعد؟" أيها الشيخ الجليل: هذه دارُ مَن هدمَ دارَك فاسكُنها ولك في الجنة خيرٌ منها إن شاء الله.

غدًا.. يقال: يا أصحاب الهدم ادخلوا مساكنكم، فقد أورثكم الله ديارهم وملّككم أموالهم، وما عند الله خير لكم وأبقى.

غدًا.. يُنادَى على كل الصابرين المرابطين: يا أهل البلاء هلمُّوا فقد كَتبْتم أسماءكم في أشرف سجلّ للتكريم.

يا أيها الأب الذي فقد صغيره فرفعه بيديه متوجهًا به نحو السماء يُكلِّم ربه: "هل رضيت يا رب؟ خذ من دمائنا وأولادنا حتى ترضى يا الله" رضي الله عنك يا أخي وأرضاك.

أيها الطفل الصغير الجميل الذي طلب من الله أن لا تُقطَع رأسه حتى لا تراه الملائكة بَشِعًا.. يا صغيري! الملائكة لا تراك بشعًا، الملائكة لا يرونك تقِلّ عنهم جمالا.

إلى تلك الصغيرة التي رأت أمها شهيدة مغطاة بالدم لم يعرفها أكثر الناس فقالت: "هي والله هي بعرفها من شعرها" غدًا يا ابنتي تعرفينها من نضرة النعيم في وجهها.

إلى تلك الأم المسكينة التي زاد من فجيعتها أنْ ماتت صغيرتها قبل أن تُمِدَّها بالطعام، قَرّي عينًا أيتها الصابرة ابنتك مع الشهداء يُمِدُّهم ربهم بفاكهة ولحمٍ مما يشتهون.

إلى ذلك المولود الذي مات في اليوم الذي ولد فيه فاستُخرجت له شهادة وفاة ولم تُستخرج له شهادة ميلاد، هنيئًا لك بحياة كاملة في الجنة دون عناء الدنيا يا ولدي.

وإلى ذلك الشيخ الراسخ كالجبال، الواقف بين الجموع تنهار دموعه لأول مرة بعد أن كان ينهى الناس عن البكاء، فيلمَحه آخر صلب اليقين مثله فيقول مداعبًا: "تعيطِشْ يا زلمة، يا زلمة هذي أرض جهاد وأرض رباط، أليس هذا قولك؟" فيتبسم ضاحكًا ويقول: وأرض نصر.

غدًا.. تُرفع أكُفّ الدعاء لأحمد ياسين، ويُقال: يا شيخ المُجاهدين هذه المقاومة التي أنشأتَها تؤتي أُكُلها كل حين بإذن ربها، فذق منها أطيب الثمار يا كرّار.

غدًا.. نُلقي جثث كلاب اليهود فى قليب واحد كقليب بدر، ونلفُظ من تبقى منهم ونلقيه مذمومًا مدحورا.

غدًا.. يعضُّ أشباه الرجال على أيديهم من الغيظ يقولون: "يا ليتنا اتخذنا مع المجاهدين سبيلا" فنقول: لا سمح الله أبدًا.

غدًا يُرفعُ الأذان من عسقلان وينادى للجُمعة في تل أبيب، وتُعلن الأرض كلها أرض إسلام.

غدًا.. تعود إلى الأرض المُحتلة سيرتها الأولى وتسميتها الأولى، نُعيد إلى تل أبيب اسمها الأول "يافا" ونعيد بير شيفع "بئر السبع"، ونعيد تسمية أكثر من سبعة آلاف موقع فلسطيني، وخمسة آلاف اسم مكان جغرافي إلى أسمائها القديمة.

غدًا... نُحيل الأنفاق إلى مزارات وشواهد للنصر، ننقش على جدرانها أسماء الشهداء من كل عصر.

غدًا.. يُنادِي الشهداء من السماء على أهل الجهاد: ﴿إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا﴾ فيقع الصوت في آذان قلوبهم ليجيب اللسان: {نعم}.

غدًا.. موعدنا على حوض رسول الله نقطع الأشواق برؤيته، وتكتحل عيوننا به وبصحابته، فنقَدّم له أهل الجهاد، وقبل أن نقول: هذا فلان وفلان، يقول: "نعم أعرفهم وإنّا إلى رؤيتهم لَبِالأشواق".

غدًا نرى أبا عبيدة بن الجراح وأبا عُبيدة بن القسام يتعانقان ويدخلان الجنة بسلام.

غدًا.. في الجنة يُنادي الرحمن: "يا أهل البلاء! هل رضيتم؟" فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

غدًا.. يُعانق كُلُّ مبتلًى فقيدَ قلبِه ويَقطع وَحْشتَه.. حيث لا فقْدَ بعدها أبدا.

غدًا.. في الجنة يرانا أبو عبيدة بن القسام ونراه، وابن الجرَّاح ومُثَنّاه..

بل.. **غدًا نرى رسول اللّه..**

لا... **بل غدًا نرى اللّه!**

رسالة إلى رجال اللّه

حسين الخيلاني

كاتب وباحث في اللغة العربية، من العراق

يا رجالاتِ العقيدةِ وحصون أمتنا المجيدة، يا مَن ألبستم الأمةَ تاجَ عزّها ومجدها، يا مَن تسّنمتم ذروة سنام الإسلام، يا رجال الله، يا أولي البأس الشديد، والمجد التليد، والحق الذي لا يحيد، يا مَن تحقق فيكم على الأعداء الوعيد، يا رجال ساحات الوغى، يا مَن سلّكم الله على كل من بغى:

إنّ عدوكم لا يختلف في كفره وزندقته إلا مَن شابهه، وإنّ دينكم هو الحقّ، وإنّ آيات صدقكم طارت بها الركبان، فلا يضركم كل خوّار وجبان، وإنّ الحق فيكم ما حاد ولا زال، ويكفيكم قول سيدنا وقدوتنا وقائدنا: (ما تزال...)؛ فاضربوا رؤوس الكفر ما استطعتم، فلا عزةَ لهذه الأمة إلا تحت ظلال سيوفكم.

رفعتم عنّا مرض الإرجاء، فلقد كُنّا نُعظِّمُ مِن هؤلاء، حتى بتنا لا نُكلّم أنفسنا عنهم، خوفًا ووهنًا وإرجاءً؛ فخشيناهم من دون الله، واللّهُ أحقُّ ان نخشاه.

ومن الخبال والضلال أن يُرى نصرُ الأمة بالشعارات والأهازيج والمهرجانات والأغاني والمسرحيات، فهذا العالَم لا يحترم إلا القويَّ، ولا يفقهُ إلا لغة السيف.

فالصبر الصبر، وإنهُ لَمِن سوء الأدب وأعجب العجَب: أن يأمر أمثالُنا أمثالَكم،

وإنما هي شهادة على ما نراه من آثار صَوارمكم في نحور أعدائكم، وتشريد مَن خلفهم، حتى رأينا خوارهم ووهنهم.

ضربتم فأوجعتم، وقلتم فسبق فعلكم قولكم..

لا رفعَ اللهُ لأعدائكم راية، ولا حقَّق لهم غاية..

وقد جرت الآيات أنّ لكلِّ مُجِدٍّ جَزيّةٌ..

وأنّ مَن يخطب الحسناءَ لا يغْلها المهرُ..

لا يَسلمُ الشرفُ الرفيع من الأذى حتَّى يُـراقَ علَى جَـوانِـبـهِ الـدَّمُ

{إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}

متى نغيث حنظلة؟

سلطان صلاح

مدير التحرير

في عام ١٩٦٩م **استيقظ ناجي العلي**، ذاك الرسام الحالم، مِن فراشه، مدركًا أن حياته مرهونة بالقضية الفلسطينية، فاختار أن ينحاز لها ويخوض معركته بريشته. سخر من عدوه برسمة بسيطة، لكنها حملت رسائل كبيرة: يراها الصغير والكبير، ويتأمل فيها خستنا وهواننا وبعدنا عن قيمنا ومبادئنا في نصرة المظلوم. وسط خذلان الأقرباء وتزايد التضييق على فلسطين، **رسم ناجي العلي حنظلةَ**، رمزًا لتخاذل الحكومات، ذاك الصبي ذو العشر سنوات الذي استدار بعد أن أيقن مليًا أن لا أمل في العرب.

أراد حنظلة أن يكبر، ففاجأه الاحتلال برصاصة أردته قتيلاً. وقع بثقلٍ على الأرض محمَّلًا بأحلامه وآلامه، بوجهه الصافي وملابسه البيضاء التي غُرِقَت بالدماء، صارخًا بأعلى صوته لعله يُسمع قريبًا فيُنقذ، لكن زامِر الحي لم يُطرب، فكيف بولده الذي لا يُسمع سوى أنينه؟

جُرح حنظلة أثناء السيطرة على الضفة، وظن أنه سيُغاث، فوجد نفسه امتدادًا لسلسلة جراح لا تندمل، وامتدادًا لسقوط بغداد، واستباحة الأندلس، واغتصاب القدس. أدرك حنظلة أنه لم يُخذل عندما أُغلقت أبواب العودة بوجهه، بل خُذل عندما

سُلِّمت بغدادُ للمغول، وعندما يُتِّم الطفل الموريسكي من والديه، وشُرِّد الطفل المقدسي على أسوار القدس.

وكلما تبسم حنظلة وأراد أن يستدير لترى وجهه المضيء الذي لم يُكشف منذ ولادته، ارتاع من انقضاض الخنجر الغادر في خاصرته. فبعد فرحته بهجوم الفدائيين وقيام العمليات من الفصائل المتمركزة بالأراضي الأردنية عند مجيئه، كأنه فأل خير على أهله، صُدم بأيلول الأسود.

ثم ما لبث أن شبَّ وصار فتًى ناضجًا، حتى قامت الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م، فانتابه فرح شديد وهو يرى أبناء جيله ينهضون بعد النكبة بحجارتهم وصيحاتهم بصوت أقوى من أزيز الرصاص على القدس، رايحين شهداء بالملايين، لعل دماءهم توقظ العرب من خيبتهم وتهاونهم وخذلانهم. لكنه فوجئ بأن الخذلان مستمر، فما كان منه إلا أن انحنى وبكى دون دموع.

وفي صبيحة ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م، تهللت أسارير وجه حنظلة وهو يرى مَن يَعدُّهم أصحاب الفداء والمُقاومة يجلسون لتوقيع "أوسلو"، وهو يُقنِع مَن حولـه أنّه بداية الحرية وفجر النهار، فإذا به يعاوده من جديد –وبشدّة- شعور الخذلان مِن القـدوة، وظلْم ذوي القربى.

ظلَّ حنظلة هكذا، كل فترة يُصاب بالخيانة وغدر الأصحاب والخلان، وهو يُحسن الظن ويأمل بنهضة العرب لأجله.

مع كل خذلان له، يوقن حنظلة أن اليقين هو ما يجعله صامدًا في وجه المآسي، فهو جرحه نفسه، لا يندمل منذ ولادته إلى يومنا هذا. يتحدث معه من يحبه ويقول له: إنك وُلدت في أمة لا تعبأ بك، وهو يرفض أن يصدِّق.

وفي صبيحة السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م، استيقظ حنظلة على أخبار هطول الصواريخ

بأعداد هائلة على الأراضي المحتلة. عاد الأمل إلى حنظلة أنه قد أتى من يُغيثه، أناس من دمه ولحمه يقتحمون أسوار العدو، ويحطمون تلك الأسطورة التي أرعبت العرب لعشرات السنين، بأسلحة بسيطة مرغت أنف العدو بالتراب.

قال حنظلة لأهله: ألم أقل لكم لن أظل مستديرًا بظهري؟ تحمّس كثيرًا بعد سماع خطاب "وحدة الساحات" بصوت القائد محمد الضيف. يا الله عادَ عزّي ومجدي، يا سماء أمطري ويا أرض تحركي، عاد أقصانا يا ناس، عادت كرامتنا. وظنَّ أن العرب سيهبّون لنصرته، فهُم مَن وعَدوه بها سنينَ عديدة، وأنكروا ما ارتُكِب بحقّه من الجرائم الشنيعة.

دارت المعركة أيّامًا متتابعة بين غالب ومغلوب، مدّ وجزر، كل فريق يظن أن النصر قد دان له. الناس يراقبون والأرض تترقب، يومًا هنا ويومًا هناك. تارةً تسمع هتاف: الله أكبر، فتستدل به على النصر المؤزر على العدو، ثم لا تلبث إلا قليلًا حتى تسمع: لا إله إلا الله... الشهيد حبيب الله، فترى القادة كالنجوم يأفلون واحدًا تلو الآخر.

مارس العدو حربًا جبانة غير أخلاقية، فمنَع الماء والطعام، فجاع البشر والحجر، وافتقرت الأرض. فترى حنظلة بين المخيمات مرميًّا كجثة هامدة، يردّد: سيأتون... سيأتون لمساعدتنا. يشفق عليه الأقربون لأمله، ولا يريدون أن يزيّفوه، فيتركونه يردّد: سيأتون... سيأتون. لكنه ينتظر إغاثة العرب له، فمتى سيغيثونه؟

يجيبنا ناجي العلي: عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة، وعندما يسترد الإنسان العربي شعوره بحريته وإنسانيته.

فيا كرامة العرب استيقظي، فقد شُدَّ جلد حنظلة عليه حتى بان كخشبة بالية.

"علواً في الحياة وفي الممات"

زينب الأزبكي

كاتبة وقاصّة عراقيّة

وددتُ لو أنني أسعف الجرحى الآن..

لا أستطيع الكلام، الألم فظيع، لا أستطيع الحراك، حتى الصراخ لا أستطيعه، أشعر بحزامٍ يلفّ جسمي بالكامل، خيوط الشاش تتشابَك مع رموشي، أرى صورةً مغبّشة من فتحات ضيقة.. هناك جلَبة في المَكان، لا أستطيع تمييز الأصوات، هي كثيرة ومتقاطعة، أسمعُ عبارة: "الحالة حرجة".

ولكنْ مَن أنا؟

نعم، نعم، تذكّرت أنا عُلا، صحفيّة لم تنضج بَعد، أنقُل ما أراه، وأدونه مرّة، وأصوّره مرّة في وسائل التواصل، أعمل مع الدفاع المدني لنقل المصابين، لَطالَمَا حلمتْ أمّي أنْ أكون طبيبتها المشهورة...

ما عندي تعريف لِمَا سأقوله وأرويه، وما تُسجّلُه يَدُ زَينب الآن هل هو سيرةٌ ذاتيّة؟ أم قصة قصيرة؟ أو ربما رواية لم تُكتَب نهايتُها بعد..

أذكرُ جيّدًا ما حدث، شريطُ الذاكرة يمرُّ أمامي وكأني في السينما..

في هذه البُقعة التي يَعرفها الشرفاء وُلدتُ، استشهد أبي بعد ولادتي، أنا الأخت الخامسة لأربعة شهداء دفنتهم أمي التي استرجعَت الله كثيرًا حتى بُحّ صوتُها، وذرفت دموعًا لو سقَت هكتارًا من الأرض لأنبَتَ..

لمْ يبقَ لها سواي.. أظنني الخلَف والعوَض..

أنا من غزة..

ربما في حياةٍ موازية أكونُ قد كبرتُ وأنا لا أحتمل رؤية عِراك، ولا أُحسِن افتعال شجار. وحين أذهب إلى السينما يكفي أن يبدأ الفيلم بموسيقى مخيفة ومَشاهد مظلمة حتى أُدرك أنّ المَعروض من أفلام الرعب، فأخرُج، وأقلب القناةَ سريعًا لو كان فيلمًا وثائقيًّا عن جرائم العصابات في فلسطين، وحين تكون القراءة مُتعتي سأقرأ عن كل شيء وفي كل فنّ إلّا روايات السجون وشهادات السجناء، ولا أجرؤ على رؤية مَشاهد الأشلاء المتناثرة والصيحات المتوسّلة، سأراوغ هذه المَقاطع ما استطعتُ، أتعامى أمامها، ألوذ بقلبي يمنة ويسرة كي لا تسحقه رؤية أب عاجز وأمّ مكلومة.

لكنني في عالَمي الحقيقيّ في غزّة، أتعلمون؟

في غزة..

عدوٌّ لنا، شرٌّ مستخفٍ بالليل عن النهار، والظلمات عن الأنوار، ولكنّه شرٌّ يتنفّس، ويأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وعلى يديه أنساب من الدم وتاريخٌ من القتل؛ هو شرٌ يحاول البداهة، ولا يستطيعها، ويحاول أن يكون كالناس، وليس منهم، ويحاول أن يغرس نفسه في أوتاد العالَم، ولكنه يأباه!

يسانده أعداء أُخَر، يرسلون له المَدد؛ وحوش يوهِمون العالَم أنهم يتنكرون احتفالًا بعيدهم، وفي حقيقتهم يحشرون سكينًا في خاصرة، ويلبسون أشباحًا تركب الدراجات، ويلوّنون قمصانهم بلون الدم، يرسمون وجوهًا مخيفة شريرة على يقطينة

يونس الّتي كانت أمانًا مِن ربّه.. يَستلذّون ممازحة هادِم اللّذات، يستلذّون قتْلنا..

في غزة..

منذ أوّل حجارةٍ رُميَت ومِن أوّل دَمٍ نَزَف على الأرض، لم تكن الأرقامُ لَدينا ذات قيمة، لا نأبه لعددِ الشهداء، فكلّ شهيدٍ يخلفه ألف مُقاوِم، فأرضُنا ولّادة الأبطال كشجرة الزيتون وإن كان عمرها مئة عام.

لمْ يَرِد في مُعجمِنا معنَى كلمة خوف، حُذف جذر الكلمة ومشتقاتها، لا معنى لكلمة يأس، نحن نعيش الأمل، نصنعه،

نعيشُ علوًّا في الحياةِ وعلوًّا في المَمات

في غزة..

نفهم قيمة الحياة، نقبض على مغزاها، نفهم متى تكون ذات معنًى؟ ومتى ينتفي عنها المعنى؟

وجود خلايا بداخلك تتكاثر لا يفرّقك عن النبتة بشيء.

ووجود قلبٍ بجوفك ينبض لا يميّـزك عن السمَك بشيء.

بعضُ الحياة مَوت، وبعضُ المَوت حياة، ولو كانت الحياة بطول العمر ما كُتِب لإبليس طول الأمد!

في غزة..

حتى بالبعث والنشور لنا عزاء لا يخطر بالبال.

ستُرتَّق أشلاء الأطفال الممزَّقة، ويُجمع هشيمُها الذي شعَّثَه الانفجار، ويُلَمّ سَديمُها الذي تَسامى بالحريق.

فيَحيا الأطفال كما كانوا على صورتهم القويمة البريئة، ليشهدوا أمام الخليقة كلّها، مَن وأَدَهم بلا ذنب..

هنا **في غزة..** قال لي أخي الشهيد الطبيب: "عاجلًا أم آجلًا، مصيرُ كلّ نزيف أنْ يتوقَّف.. ولكنْ الأهمّ كيف سيتوقف؟".

وهذا تمامًا كمنطِق الحرب.. تشتعل حتّى يغدو كلّ شيءٍ رمادًا.. ولكنْ كيف سينطفئ؟

الآن أسمعُهم جيّدًا يقولون: "توقَّف النزيفُ، هناك أمل، ستعيش".

ألمْ تَعلموا أنّنا في غزّة؟

في غزة.. سيقضي الله بالعدل ويجزي الصابرين.

كان هناك بنت اسمها غِنى، عمرها تسع سنوات، كان حلمها أن ترى فلسطين، ثُمّ تحقَّقَ حلمها، فذهبت إلى فلسطين، وهناك زارت إحدى المستشفيات، ورأت بنتًا بعمرها، فسألتها غِنى: مَن أنتِ؟

قالت: أنا ديمة، ومَن أنتِ؟

قالت: أنا غِنى.

قالت ديمة: تشرّفت بكِ.

قالت غِنى: وأنا أيضًا. ولكن لماذا أنتِ هنا؟

قالت ديمة: أنا هنا لأني لم يعُد لدي منزل، ولأن أهلي ماتوا في الحرب.

قالت غِنى: أنا آسفة، ولكن كيف حدث ذلك؟

قالت ديمة: سأروي لك ما حدث معي في الحرب.

قالت غنى: أتمنى أن تكوني الآن بخير. هيا اروي لي قصتك.

قالت ديمة: كنا في منزلنا نسمع أصوات القصف ونحن خائفون، وحزينون على ما يجري في بلدنا، وعندما سمعنا صوت ضربة قريبة، أتت أمي مباشرة وقالت: هيا احزموا أغراضكم، هيا لنذهب بسرعة. فقلت لأمي: لماذا؟ ماذا حدث؟ قالت أمي لا يمكنني أن أشرح هذا الآن، هيا بسرعة، ليس لدينا وقت. فهربنا، وكان لدينا خيمة فأخذتها أمي لكي ننصبها وننام تحتها، فسألتُ أمي مرة أُخرى: لماذا هربنا؟ قالت أُمي: لقد سمعتُ أنَّ الصَواريخ سوف تسقط على بيوتنا. فانصدمت وأنا أستمع إلى أمّي، وأثناء حديثها معي وقع صاروخ على خيمتنا فأُصبتُ بجِراح، أما أمي وأبي وأخي فقد ماتوا، وها أنا بدأت جراحي تشفى، ولكني حزينة على فقد أمي وأبي وأخي. هذه قصتي.

قالت غنى: لدي مفاجأة لك، أنا أعيش في بغداد ما رأيك أن تعيشي معنا؟

قالت ديمة: هل أنت جادّة؟

قالت غنى: نعم، أنا جادّة.

قالت ديمة: لا أعرف ماذا أقول لك؟ شكرًا لك على مشاعرك، لكن أنا سأبقى في بلدي ولا أترك أرضي للمحتل.

قالت غنى: إذنْ سوف أخبر عائلتي وأصدقائي وسأكتب لكل مَن أعرف بأن يمدّوا لكم يد المساعدة. والآن هيا يا ديمة لنتجوّل في بعض الأماكن، فحلُمي أن أرى فلسطين.

تبرّع لأهل غزة:

مؤسسة وصل تصل الإنسانية
Wasel Tasel Humanitarian Foundation

على "ماستر كارد" الرافدين

8504581094

6365361515